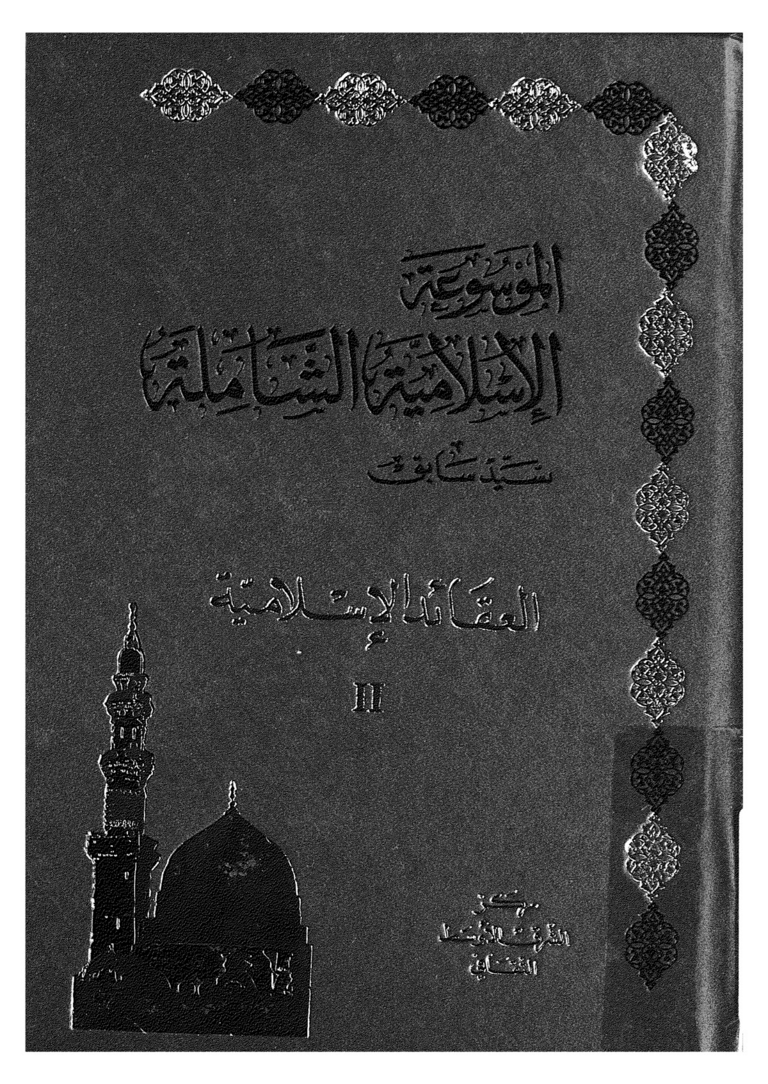


الموسوعة
الإسلامية الشاملة
سيد سابق
العقائد الإسلامية
II
مركز
الشرق الأوسط
الثقافي


الموسوعة
الإسلامية الشاملة

الموسوعة الإسلامية الشاملة

العقائد الإسلامية

II

السيد سابق

مركز الشرق الأوسط الثقافي

الطبعة الأولى

Middle East Cultural Center مركز الشرق الأوسط الثقافي

For Printing, Publishing, Translating & Distributing للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع

General Management: الإدارة العامة:

بيروت ـ الحدث، هاتف: ٨٨٨ ـ ٤٦١٧٧٧ ـ ٥ ـ ٩٦١ ـ فاكس: ٤٦١٩٩٩ ـ ٥ ـ ٩٦١ ـ خليوي: ٦٤٠٤٩٠ ـ ٣ ـ ٩٦١

مصر ـ الدقي، هاتف: ٠٠٢٠٢٣٣٦٥١٥٢ ـ خليوي: ٨٨ ـ ٧٧ ـ ٦٦ ـ ٠٠٢٠١٨٢٥١١١٥٥

سوريا ـ دمشق، هاتف: ٠٣٠ ـ ٠٢٠ ـ ٠٠٩٦٣١١٤٦٤٤٠١٠ ـ خليوي: ٩٦٣٩٤٩٩٧٧٦٤

Beirut - Hadath, Tel: 961-5-461777 - 888 - Fax: 961-5-461999, Mobile: 961-3-640490

Cairo - Dokki, 002023365152 - Mobile: 0020182511155-66-77-88

Syria - Damascus, 00963114644010 - 020 - 030 - Mobile: 96394997764

Web site: www.lccpublishers.tk **E-mail: lcc_ pub @ yahoo.com**



الكتب السماوية

* الكتب المدوّنة.
* القرآن الكريم آخر الكتب.
* تحريف التوراة.
* تحريف الإنجيل.
* تصديق القرآن للكتب السابقة.
* الطريق إلى الحقيقة.

إن للّه سبحانه تعاليم ووصايا، أوحاها إلى رسله وأنبيائه:

منها ما دوّن في كتب، ومنها ما لا علم لنا به. فلكل نبيّ رسالة بلغها قومه:

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ﴾ (1).

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ١٨٤﴾ (2).

□ **والكتب المدوّنة هي:**

التوراة التي نزلت على موسى.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ﴾ (3).

---

(1) سورة البقرة، آية: ٢١٣.

(2) سورة آل عمران، آية: ١٨٤.

(3) سورة المائدة، آية: ٤٤.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ (١).

والأنجيل الذي نزل على عيسى.

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (٢).

والزبور الذي نزل على داود:

﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ (٣).

ومنها صحف ابراهيم وموسى:

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ (٤).

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ (٥).

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٩١.
(٢) سورة المائدة، آية: ٤٦.
(٣) سورة الإسراء، آية: ٥٥.
(٤) سورة النجم، الآيات: ٣٦ ـ ٤٢.
(٥) سورة الأعلى، الآيات: ١٤، ١٩.

عن أبي ذر رضي اللَّه عنه قال: «قلت: يا رسول اللَّه ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالاً كلها»

أيها الملك المسلط[1] المبتلى[2] المغرور[3] إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها وإن كانت من كافر.

وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله ـ أن يكون ساعات:

فساعة يناجي[4] فيها ربه.

وساعة يحاسب فيها نفسه.

وساعة يتفكر فيها في صنع اللَّه عزّ وجل

وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب.

وعلى العاقل ألا يكون ظاعناً[5] إلا لثلاث:

تزوّد لمعاد[6] أو لمعاش[7].

أو لذة في غير محرَّم.

---

(١) المسلط: صاحب السلطان النافذ.
(٢) المبتلى: المختبر بالحكم.
(٣) المغرور: الناسي حقوق اللَّه الذي أصابته الغفلة.
(٤) يناجي: يدعو ربه.
(٥) ظاعناً: مرتحلاً.
(٦) عمل صالح للآخرة.
(٧) سعي لعيشه.

وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه. ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه[1].

قلت يا رسول اللّٰه:

فما كانت صحف موسى عليه السلام؟

قال: كانت عِبَراً[2] كلها.

عجبت لمن أيقن بالموت، ثم هو يفرح.

عجبت لمن أيقن بالنار، ثم هو يضحك.

عجبت لمن أيقن بالقدر، ثم هو ينصب[3].

عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها، ثم اطمأن إليها.

عجبت لمن أيقن الحساب غداً، ثم لا يعمل.

قلت يا رسول اللّٰه:

أوصني..

قال: أوصيك بتقوى اللّٰه، فإنها رأسُ الأمر كله.

قلت: يا رسول اللّٰه زدني.

قال: عليك بتلاوة القرآن، وذكر اللّٰه عزّ وجل، فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء.

---

(١) يعنيه: يفيده.

(٢) عبراً: عظات.

(٣) ينصب: يتعب.

قلت: يا رسول اللَّه زدني.

قال: إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب [١]، وتذهب بنور الوجه.

قلت: يا رسول اللَّه زدني.

قال: عليك بالجهاد فإنه رهبانية [٢] أمّتي.

قلت: يا رسول اللَّه زدني.

قال: أحبَّ المساكين وجالسهم.

قلت: يا رسول اللَّه زدني.

قال: انظر إلى من هو تحتك، ولا تنظر إلى ما هو فوقك؛ إنه أجدر أن لا تزدري نعمة اللَّه عنك.

قلت: يا رسول اللَّه زدني.

قال: قل الحق وإن كان مرّاً.

قلت: يا رسول اللَّه زدني.

قال: ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك، ولا تجد عليهم فيما تأتي، وكفى بك عيباً أن تعرف من الناس ما تجهله من نفسك، وتجد عليهم فيما تأتي.

ثم ضرب بيده على صدره.

---

(١) فلا يتأثر بالمواعظ.

(٢) انقطاع إلى طاعة اللَّه وتبتل.

فقال: يا أبا ذر لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب[1] كحُسن الخُلُق»[2].

والقرآن الكريم وهو آخر الكتب السماوية نزولاً:

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾[3].

□ مزايا القرآن:

وللقرآن الكريم مزايا تميّز بها عن الكتب السماوية التي تقدمته وهي:

١ - أنه تضمن خلاصة التعاليم الإلهية التي تضمنتها التوراة والإنجيل وسائر ما أنزل اللّه من وصايا، وأنه مؤيد للحق الذي جاء بها: من عبادة اللّه وحده والإيمان برسله، والتصديق بالجزاء، ووجوب إقامة الحق، والتخلق بمكارم الأخلاق.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[4].

أي أن اللّه أنزل القرآن الكريم على النبي مقترناً بالحق في كل ما

---

(١) شرف.

(٢) رواه ابن حيان في صحيحه واللفظ له والحاكم وقال صحيح الإسناد.

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ٢، ٣، ٤.

(٤) سورة المائدة، آية: ٤٨.

جاء به، ومصدقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية التي أنزلها اللَّه على الأنبياء السابقين، ورقيباً عليها: يقرّ ما فيها من حق، ويبين ما دخل عليها من تحريف وتصحيف، ثم يأمر اللَّه نبيه أن يحكم بين الناس: مسلمين وكتابيين بما أنزل اللَّه في القرآن متجنباً أهواءهم.

وأنه سبحانه جعل لكل أمة شريعة وطريقة في الأحكام العملية تناسب استعدادها. أما أصول العقائد والعبادات والآداب والحلال والحرام وما لا يختلف باختلاف الزمان والمكان فإنها واحدة في الأديان كلها.

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ (١).

ثم نسخت الأحكام العملية السابقة بالشريعة الإسلامية، والأحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان.

وأصبحت العقيدة واحدة، والشريعة واحدة للناس جميعاً.

٢ - وتعاليم القرآن هي كلمة اللَّه الأخيرة لهداية البشر أراد اللَّه لها أن تبقى على الدهر، وتخلد على الزمن، فصانها من أن تمتد إليها يد التحريف، أو التصحيف، أو التغيير، أو التبديل.

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ (٢).

---

(١) سورة الشورى، آية: ١٣.

(٢) سورة فصلت، الآيتان: ٤١، ٤٢.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[1].

والغاية من ذلك أن تبقى حجة اللَّه على الناس قائمة حتى يرث اللَّه الأرض ومن عليها.

٣ ـ وهذا القرآن الذي أراد اللَّه له الخلود لا يتصوّر أن يأتي يوم يصل فيه العلم إلى حقيقة ما تتعارض مع أي حقيقة من حقائقه، فالقرآن كلام اللَّه والكون عمل اللَّه، وكلام اللَّه وعمله لا يتناقضان أبداً، بل يصدق أحدهما الآخر، ومن ثم فقد جاءت الحقائق العلمية مصدقة لما سبق به الكتاب، تحقيقاً لقوله سبحانه:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾[2].

٤ ـ واللَّه يريد لكلمته أن تذاع، وتصل إلى العقول والأسماع، وتتحول إلى واقع عملي، ولا يتم ذلك إلا إذا كانت ميسرة للذكر والحفظ والفهم، ولهذا جاء القرآن سهلاً ليس فيه ما يشق على الناس فهمه، أو يصعب عليهم العمل به.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾[3].

ومن تيسيره أن حفظه الرجال والنساء الصغار والكبار والأغنياء والفقراء ويرددونه في البيوت والمساجد، ولا تزال أصوات القرّاء تدوي

---

(١) سورة الحجر، آية: ٩.
(٢) سورة فصلت، آية: ٥٣.
(٣) سورة القمر، آية: ١٧.

به في كل ناحية، ولا نعلم أن كتاباً من الكتب غير القرآن نال من هذه الميزة بعض ما اختص به القرآن الكريم.

والقرآن بهذا لا يساميه أو يقاربه كتاب آخر في تأثيره وهدايته، ولا في موضوعه وسمو أغراضه. ومن ثم كان خير الكتب وأفضلها على الإطلاق.

□ **تحريف التوراة:**

إن الإيمان بالتوراة التي نزلت على موسى، ركن من أركان الإيمان، وقد أخبر اللَّه أن فيها هدى ونوراً وأثنى عليها بقوله:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾[١].

إلا أن هذه التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام غير موجودة بالمرة، كما هو مسلَّم من الجميع.

أما التوراة المتداولة الآن فقد قام بكتابتها أكثر من كاتب، وفي أزمان مختلفة.

وقد دخلها التحريف، يقول المرحوم الأستاذ الكبير محمد فريد وجدي:

«ومن أدلة التحريف الحسية أن التوراة المتداولة لدى النصارى تخالف التوراة المتداولة عند اليهود» انتهى.

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٤٨.

وقد أثبت القرآن هذا التحريف، ونعى على اليهود التغيير والتبديل الذي أدخلوه على التوراة.

﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[1].

فهم تجرأوا على كتاب اللّٰه، فحرّفوه ليخفوا ما فيه من الحق، ونسوا قدراً مما ذكرهم اللّٰه به في التوراة.

فالذي عندهم من التوراة الصحيحة هو بعضها فقط.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[2].

وأول دليل على صحة نقد القرآن للتوراة المتداولة، وأنها ليست كلها هي توراة موسى، التي جعلها اللّٰه نوراً وهدى، ما جاء في التوراة من وصف اللّٰه بما لا يليق بجلاله وكماله، ففي سفر التكوين (٣: ٢٢ وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً بالخير والشر).

وفيه «٦: ٦» «فحزن الرب أنه عمل الإنسان وتأسف في قلبه».

فهل يعقل أن هذا من كلام اللّٰه، وهل يصح أن ينسب إليه الحزن والأسف على شيء عمله.

وكذلك ما جاء فيها مما يمس شرف الأنبياء ويتنافى مع ما لهم من عصمة ومكانة رفيعة وخُلُق متين، فقالوا عن ابراهيم: إنه كذاب، وأن لوطاً زنا بابنته وهرون دعا الإسرائيليين إلى عبادة العجل، وداود زنا

---

(١) سورة البقرة، آية: ٧٥.

(٢) سورة النساء، آية: ٤٦.

بزوجة أوريا، وسليمان عبد الأصنام إرضاءً لزوجته.

فهل ثمة دليل على التحريف أقوى من هذا، لقد اضطر النقاد من مصلحي اليهود أنفسهم إلى الاعتراف بهذه الحقيقة: وأن التوراة قد حرّفت وقد أورد مذهبهم حاخام باريس أجوليان ويل في كتابه اليهودية.

□ تحريف الإنجيل:

والإنجيل الذي نزل على عيسى ﷺ هو مثل التوراة التي نزلت على موسى، كلاهما كلام اللَّه، وفيهما هدى ونور، إلا أن الإنجيل قد لحقه ما لحق بالتوراة من التحريف:

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا﴾(١).

ويكفي لصحة التدليل على التحريف في الأناجيل المتداولة بأيدي النصارى الآن، أنها أربعة اختيرت من نحو سبعين انجيلاً، وهذه الأناجيل تناولت الكتابة عن سيرة سيدنا عيسى ﷺ، ومؤلفوها معروفون، وأسماؤهم مكتوبة عليها. وقد قرر نقاد المسيحيين أنفسهم أن عقائد الأناجيل هي رأي بولس دون سائر الحواريين ودون أقرب الأقربين إلى عيسى.

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١٤ و١٥.

وقد وجد في مكتبة أمير من لأمراء في باريس نسخة من إنجيل برنابا، وقد طبعته مطبعة المنار بعد ترجمته إلى العربية، وهو يخالف الأناجيل الأربعة مخالفة كبيرة.

□ معنى تصديق القرآن للكتب السابقة:

وإذا كان التحريف في التوراة والإنجيل ثابتاً ثبوتاً حقيقياً لا ريب فيه بنص القرآن من جهة، وبالأدلة الحسية من جهة أخرى، فما معنى أن القرآن، جاء مصدقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية؟

معنى ذلك أن القرآن جاء مؤيداً للحق الذي ورد فيها كما سبقت إليه الإشارة من عبادة اللّه وحده والإيمان برسله، والتصديق بالجزاء، ورعاية الحق والعدل، والتخلق بالأخلاق الصالحة. وهو في الوقت ذاته مهيمناً عليها ومبيناً ما وقع فيها من أخطاء وأغلاط، وتحريف وتصحيف، وتغيير وتبديل.

وإذا انتفت هذه الأخطاء التي أدخلها رجال الدين على الكتب السماوية وزوروها على الناس باسم اللّه ظهر الحق، واستبان، والتقى القرآن مع التوراة والإنجيل.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (١).

وإقامتها لا تتحقق إلا بعد تطهيرها من الزيف.

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٨.

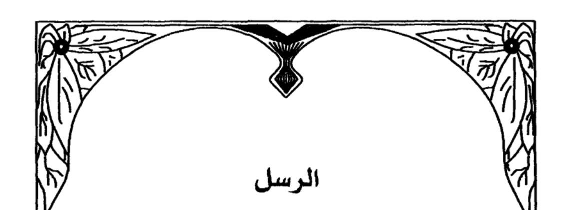
□ **الطريق إلى الحقيقة:**

إن من يبتغي الحق، ويريد الوصول إلى التعاليم الإلهية الصحيحة، لا يجد أمامه غير القرآن الكريم، فهو الكتاب الذي حفظت أصوله، وسلمت تعاليمه، وتلقته الأمة عن محمد، عن جبريل، عن اللّٰه، الأمر الذي لم يتوفر لكتاب مثله. وأنه الجامع لأسمى المبادىء، وأقوم المناهج وخير النظم، والحافل بكل ما يحتاج إليه البشر من حيث العقائد، والعبادات، والآداب، والمعاملات، والنظم، وإنه الكفيل بخلق الفرد الكامل، والأسرة الفاضلة، والمجتمع الصالح، والحكومة العادلة، والكيان القوي الذي يقيم الحق والعدل، ويرفع الظلم، ويدفع العدوان، وأنه الوسيلة الوحيدة لتحقيق الخلافة ووراثة الأرض.

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[1].

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١٥ و١٦.



الرسل

* لكل أمة رسول.
* الرسول بشر.
* الرسول رجل.
* الغرض من بعثة الرسل.
* عصمة الأنبياء.
* ما نسب إلى الرسل.
* أولو العزم من الرسل.
* حتمية النبوة والرسالة.
* الأعمال الكبرى التي قام بها الرسول.
* دلائل صادقة.
* التبشير بظهوره.
* آيات الرسل.
* الفرق بين آيات الرسل وغيرها من الخوارق.
* الفرق بين المعجزة والكرامة.
* معجزة خاتم الأنبياء.

أوجب اللّه على المسلم أن يؤمن بجميع رسل اللّه، دون تفريق بينهم، فقال سبحانه:

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ [1] مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [2].

وبين أن هذا هو إيمان المؤمنين، فقال سبحانه:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [3].

وأخبر أن البرّ في هذا الإيمان فقال:

---

(١) النبي هو من أُوحي إليه بشريعة ليعمل بها في نفسه، والرسول هو من أُوحي إليه بشريعة ليعمل بها في نفسه وليبلغها غيره.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٣٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٥.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ (١).

وإذا آمن الإنسان ببعض الرسل، ولم يؤمن بالبعض الآخر، وفرّق بينهم في الإيمان فهو كافر، قال سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ﴾ (٢).

وهؤلاء الرسل منهم من قصه اللَّه علينا فذكرهم بأسمائهم، ومنهم من لم يقصصه علينا قال سبحانه:

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ﴾ (٣).

أما الذين قصصهم اللَّه علينا فعددهم خمسة وعشرون. وهم المذكورون في قوله:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ (٤).

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٧.
(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٥٠، ١٥١.
(٣) سورة النساء، آية: ١٦٤.
(٤) سورة الأنعام، الآيات: ٨٣ ـ ٨٦.

وقد جمعت هذه الآيات ثمانية عشر رسولاً، ويجب الإيمان بسبعة آخرين مذكورين في عدة آيات.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ (١).

﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ (٢).

﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ (٣).

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (٤).

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ (٥).

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ (٦).

وقد ورد أن عدد الأنبياء (١٢٤).

□ لم تخل أمة من رسول:

وهؤلاء الرسل أرسلهم اللَّه إلى الأمم في جميع العصور

---

(١) سورة آل عمران ، آية: ٣٣.
(٢) سورة الأعراف، آية: ٦٥.
(٣) سورة هود، آية: ٦١.
(٤) سورة هود، آية: ٨٤.
(٥) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٥، ٨٦.
(٦) سورة الأحزاب، آية: ٤٠.

المتطاولة، فلم تخل أمة من رسول يدعوها إلى اللَّه، ويرشدها إلى الحق. يقول اللَّه سبحانه:

﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ (١).

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٢).

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ (٣).

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ (٤).

□ **والرسول من نفس الأمة:**

والرسول بشر من نفس الأمة، وإن كان من معدن كريم خصّه اللَّه بمواهب عقلية وروحية ليستعد لتلقي الوحي عن اللَّه.

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ (٥).

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ (٦).

وإنما خصّ اللَّه الرسول بمزايا وفضائل ليقوى على الاضطلاع بأعباء الرسالة، وليكون مثالاً يُقتدى به في أمور الدين والدنيا، ولو لم

---

(١) سورة النحل، آية: ٦٣.
(٢) سورة فاطر، آية: ٢٤.
(٣) سورة يونس، آية: ٤٧.
(٤) سورة الرعد، آية:٧.
(٥) سورة الأنعام، آية: ١٢٤.
(٦) سورة الحج، آية: ٧٥.

يتميز رسل اللَّه بهذه الخصائص العقلية والروحية بأن انحطت فطرهم أو ضعفت عقولهم لما كانوا أهلاً لحمل هداية اللَّه إلى الناس.

□ والرسول رجل يأكل الطعام:

والرسول رجل يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، يقول اللَّه سبحانه:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ (1).

□ والرسول يتزوج:

والرسول يتزوج ويولد له كغيره من البشر.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ﴾ (2).

□ والرسول يتعرض لما يتعرض له غيره من البشر:

والرسول يتعرض لما يتعرض له غيره من الصحة والمرض، والقوة والضعف، واللذة والألم، والحياة والموت، إلا أن ما ينزل به لا يعرضه لتنفير الناس منه.

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ

---

(1) سورة الفرقان، آية: ٢٠.

(2) سورة الرعد، آية: ٣٨.

﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ (١).

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ (٢).

والرسول أي رسول لا يتصرف في الكون ولا يملك النفع أو الضر، ولا يؤثر في إرادة اللّه، ولا يعلم من الغيب إلا القدر الذي أراده اللّه له.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ (٣).

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ (٤).

□ الرسول رجل:

ولا يكون الرسول إلا رجلاً، فلم يرسل اللّه ملكاً، ولا أنثى.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ (٥).

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٣، ٨٤.
(٢) سورة آل عمران، آية: ١٤٤.
(٣) سورة الأعراف، آية: ١٨٨.
(٤) سورة الجن، الآيات: ٢٦ ـ ٢٨.
(٥) سورة الأنبياء، آية: ٧.

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾[1].

□ الغرض من بعثة الرسل:

والغرض من بعثة الرسل هو الدعوة إلى عبادة اللّٰه وإقامة دينه:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[2].

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[3].

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[4].

وبإقامة الدين، وعبادة اللّٰه، تنتظم الإيمان باللّٰه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، كما تنتظم الأعمال الصالحة التي تزكي النفس الإنسانية، وتطهرها، وتغرس فيها الخير، لتبلغ الكمال المادي والأدبي في هذه الحياة، ولتستعد لكمال أرقى، وأبقى.

وهذه التعاليم العالية لا يمكن للشر أن يصلوا إليها بعقولهم، وإنما يتعلمونها بوحي اللّٰه.

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٩٥.
(٢) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.
(٣) سورة النحل، آية: ٣٦.
(٤) سورة لشورى، آية: ١٣.

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[1].

وبهذا لا تنهض حجة من أغفل اللَّه قلبه عن ذكره، واتبع هواه، وكان أمره فرطاً، قال تعالى:

﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾[2].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾[3].

قال ابن كثير: يقول اللَّه تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة وحكمه العادل: إنه لا يضل قوماً إلا بعد إبلاغ الرسالة إليهم حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة كما قال تعالى:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[4].

واللَّه سبحانه لا يعذب أحداً حتى يقيم عليه الحجة، ويقطع عذره.

---

(١) سورة الجمعة، آية: ٢.

(٢) سورة النساء، الآيات: ١٦٣ ـ ١٦٥.

(٣) سورة التوبة، آية: ١١٥.

(٤) سورة فصلت، آية: ١٧.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾[1].

□ عصمة الأنبياء[2]:

الرسل اصطفاهم اللَّه واختارهم:

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[3].

ونزههم عن السيئات، وعصمهم من المعاصي، صغيرها وكبيرها.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾[4].

وحلاهم بالأخلاق العظيمة من الصدق، والأمانة، والتفاني في الحق، وأداء الواجب فمنهم الصديق:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾[5].

---

(١) سورة الإسراء، آية: ١٥ ـ استدل الأشاعرة والمالكية والكمال بن الهمام بهذه الآية على أن أهل الفترة الذين لم تبلغهم الدعوة ناجون وإن عبدوا الأصنام. وذهب أبو حنيفة والماتريديه أنه يشترط في نجاتهم في الآخرة ألا يشركوا مع اللَّه غيره، لأن معرفة اللَّه الواحد يكفي فيها العقل، والأول أظهر لأن اللَّه يقول: «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً».

(٢) العصمة هي أنهم لا يتركون واجباً، ولا يفعلون محرماً، ولا يقترفون ما يتنافى مع الخلق الكريم.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣٣.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٦١.

(٥) سورة مريم، آية: ٤١.

ومنهم من اصطنعه اللّٰه لنفسه.

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾[1].

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾[2].

ومنهم من هو بعين اللّٰه.

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[3].

ومنهم من اجتباه اللّٰه وعلمه:

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾[4].

وبعد أن ذكر اللّٰه جملة من الأنبياء في سورة مريم قال:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا۩ ﴿٥٨﴾﴾[5].

وهم وإن تفاوتوا في الفضل إلا أنهم بلغوا الغاية من السموّ الروحي والصلة باللّٰه.

---

(١) سورة طه، آية: ٣٩.

(٢) سورة طه، الآيتان: ٤٠، ٤١.

(٣) سورة الطور، آية: ٤٨.

(٤) سورة يوسف، آية: ٦.

(٥) سورة مريم، آية: ٥٨.

﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ (١).

وهكذا نجد النصوص الكثيرة الواردة في القرآن بشأن الأنبياء والرسل، تضفي عليهم من الطهر والنزاهة والقداسة ما يجعل منهم النموذج الحي والصورة المُثلى للكمال الإنساني.

ومثل هؤلاء لا يمكن إلا أن يكونوا معصومين من التورّط في الإثم، ومنزهين عن الوقوع في المعاصي، فلا يتركون واجباً، ولا يفعلون محرّماً، ولا يتصفون إلا بالأخلاق العظيمة التي تجعل منهم القدوة الحسنة، والمثل الأعلى الذي يتجه إليه الناس، وهم يحاولون الوصول إلى كمالهم المقدر لهم.

واللّه سبحانه هو الذي تولى تأديبهم وتهذيبهم وتربيتهم وتعليمهم حتى كانوا قمماً شامخة وأهلاً للاصطفاء والاجتباء.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ (٢).

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ (٣).

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٣. وقيل إن أفضلهم محمد، ثم ابراهيم ثم يوسف، ثم آدم أبو البشر.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ٨٩ و٩٠.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧٣.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[1].

فهذه الآيات أدلة بيّنة على مدى الكمال الإنساني الذي أفاضه اللّه على أنبيائه ورسله، ولو لم يكونوا كذلك لسقطت هيبتهم في القلوب، ولصغر شأنهم في أعين الناس، وبذلك تضيع الثقة فيهم، فلا ينقاد لهم أحد، وتذهب الحكمة من إرسالهم ليكونوا قادة الخلق إلى الحق، بل لو فعلوا شيئاً مما يتنافى مع الكمال الإنساني بأن يتركوا واجباً، أو يفعلوا محرّماً، أو يرتكبوا ما يتنافى مع الخلق الكريم لكانوا قدوة سيئة، ولم يكونوا مثلاً عُليا، ومنارات هدى.

إن رسل اللّه يدركون بحسهم الذي تميزوا به على غيرهم من البشر، أنهم دائماً في حضرة القدس، وأنهم يبصرون اللّه في كل شيء، فيرون مظاهر جماله وجلاله ودلائل قدرته وعظمته، وآثار حكمته ورحمته. يرون ذلك في أنفسهم وفيمن حولهم: في الأرض وفي السماء وفي الليل والنهار، وفي الحياة والموت، فتمتلىء قلوبهم إجلالاً للّه ووقاراً له، فلا يبقى فيها مكان لشيطان، ولا موضع لهوى، ولا جنوح لشهوة، ولا إرادة لشيء سوى إرادة الحق والتفاني فيه والاستشهاد من أجله.

وما ورد في القرآن الكريم مما يوهم ظاهره بأنهم ارتكبوا ما يتنافى مع عصمتهم فهو ليس على ظاهره، ويتجلى ذلك فيما نذكره بالنسبة لما نسب لكل نبيٍّ فيما يلي:

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

□ آدم عليه السلام:

يقول اللّٰه سبحانه:

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾[1].

فظاهر هذه الآية أن آدم عصى ربه، وغوى، بمخالفة أمر اللّٰه، واستجابته لدعوة الشيطان، وأن ذلك كان زلة وقع فيها.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[2].

ولكن إذا أمعنا النظر رأينا أن هذه المعصية إنما وقعت من آدم نسياناً منه لعهد اللّٰه، ولم يصدر عنه هذا الفعل عن إرادة وقصد، واللّٰه سبحانه لا يؤاخذ على الخطأ ولا على النسيان؛ لأن ذلك تكليف بما لا يطاق، واللّٰه لا يكلّف نفساً إلا وسعها، والأصل في هذه القاعدة قول اللّٰه سبحانه:

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[3].

وقوله:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[4].

والدليل على أن ما وقع من آدم كان نسياناً وعن غير عمد، قول اللّٰه سبحانه:

(١) سورة طه، آية: ١٢١.
(٢) سورة البقرة، آية: ٣٦.
(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥.
(٤) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾[1].

أي أن آدم نسي عهد اللّه الذي وصاه به حين ارتكب ما نهاه عنه من الأكل من الشجرة، ولم يوجد له عزم على فعل ما نهى عنه.. وحيث لم يوجد له عزم على فعل ما نهى عنه.. وحيث لم يوجد العزم على المعصية، فلا توجد المؤاخذة.

وإنما اعتبر القرآن ذلك النسيان عصياناً نظراً لمقام آدم الذي خلقه اللّه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته، وعلّمه الأسماء كلها، والذي شأنه هكذا يجب أن يكون يقظاً كأقوى ما تكون اليقظة بحيث لا ينسى وصاية اللّه له وعهده إليه، فهذا: من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

□ نوح عليه السلام:

أما نوح عليه السلام فما وقع منه فهو أنه سأل اللّه عن هلاك ابنه مع من هلكوا في الطوفان، مع وعد اللّه بنجاته ونجاه أهله، فقال:

﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾[2].

---

(١) سورة طه، آية: ١١٥.

(٢) سورة هود، الآيات: ٤٥ ـ ٤٧.

فلم يكن لنوح عليه السلام علم بأنَّ نسب ابنه إليه قد انتفى بكفره وإعراضه عن دعوة اللَّه، فسأل اللَّه كيف هلك مع الوعد بنجاة أهله، وابنه من أهله، فعلمه اللَّه أن الصلة الدينية والنسب الروحي أقوى من صلة الدم، فإذا انقطعت هذه الصلة ذهبت بصلة النسب والدم، فقال له معلماً إياه: «إنه ليس من أهلك» معللاً ذلك بأن عمله عمل غير صالح، وما دام ذلك كذلك فليس هناك صلة نسبية، وبذلك ينتفي نسبه من أبيه، فلا يكون من أهله الذين وعدوا بالنجاة.

وكان على نوح عليه السلام ـ وهو الأب الثاني للبشر، الذي بذل حياته للَّه، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو إلى اللَّه، ويجاهد في سبيله ـ كان عليه أن يفطن لهذا المعنى، وأن يدركه، فلما لم ينتبه إليه، وغلبت عليه عاطفة الأبوّة اعتبر ذلك نقصاً بالنسبة لمقامه الرفيع، ومنزلته الكبرى التي حباه اللَّه بها.. ومن ثم فقد لجأ إلى اللَّه أن يغفر له هذه العثرة التي لم يقصد إليها. ولم يكن له علم بها، فقال؛

﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾[1].

□ **ابراهيم عليه السلام:**

وجاء في دعاء ابراهيم عليه السلام قوله:

﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢﴾[2].

---

(١) سورة هود، آية: ٤٧.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٨٢.

ونحن لا نعرف لابراهيم خطيئة، والذي نعلمه أن الله قد اتخذه خليلاً، وأضفى عليه من صفات الكمال ما هو خليق به.

﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ (1).

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ (2).

وطلبه من الله أن يغفر له خطيئته ليست خطيئة بالمعنى الذي يتبادر إلى الذهن وإنما هي ما يستشعره في نفسه من قصور في تفانيه في الله. وأداء رسالته. نظراً لمكانته السامية، ومنزلته الرفيعة.

□ **يوسف** عليه السلام:

والله يقول في يوسف عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ (3).

وليس في هذا ما يدل أدنى دلالة على أن يوسف همَّ بالفاحشة لأن المقصود بالهم هنا الهم بالضرب والأذى.. وذلك أن امرأة العزيز راودته عن نفسه، فغلقت الأبواب، ودعته إلى نفسها، فاستعصم، وأبى وقال:

---

(1) سورة البقرة، آية: ١٣٠.

(2) سورة النحل، الآيات: ١٢٠ ـ ١٢٢.

(3) سورة يوسف، آية: ٢٤.

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾[1].

وإزاء هذا الاستعصام والتأبي والترفع عن التسفل، همت امرأة العزيز بضربه وإلحاق الأذى به، بعد أن عجزت عن إغرائه بكل وسيلة، فهمَّ هو بأن يعاملها بالمثل دفاعاً عن نفسه، لولا أن رأى أن ذلك لا يليق بأمثاله من أصحاب النفوس الكبيرة، ولا سيما أن هذا البيت آواه، وأكرمه، فضلاً عن أنها سيدته التي تبنته، وأنها زوجة رجل عظيم في أمة عظيمة.

فلولا أن رأى ذلك كله، وهو صاحب شعور نبيل وعاطفة جياشة لقابلها بالمثل، ولأذاها بالضرب المبرح.

ولكنه كذلك لا يرضى بالاستكانة، ويقف ذليلاً يتلقى الضربات من امرأة أصابها جنون الشهوة الحيوانية ـ وهو من هو ـ فآثر أن يفرّ منها تفادياً من الحرج الذي تعرض له، ولكنها أبت إلا أن تتابعه لتثأر لنفسها منه.

﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ﴾[2].

فكان في ذلك خلاصه.

والذي يدل على هذا أبلغ دلالة:

أولاً: أن اللّه آتاه العلم والحكمة.

---

(١) سورة يوسف، آية: ٢٣.

(٢) سورة يوسف، آية: ٢٥.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ (١).

ثانياً: أنه أجاب امرأة العزيز بعد المراودة، بما يدل دلالة قاطعة على أن السوء لم يخطر على قلبه.

﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

فالذي يقول هذا لا يتصور منه الهم بالفحش.

ثالثاً: أن اللّه صرف عنه السوء والفحشاء، وأخلصه لنفسه.

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (٢).

ومن كان كذلك لا يمكن أن تتوجه نفسه مجرد توجه إلى سوء أو إلى فحش، لا في القول ولا في العمل.

رابعاً: أن كل همٍّ في القرآن إنما يقصد به الهمُّ بالأذى كالضرب والقتل.

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ﴾ (٣).

﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ﴾ (٤).

وهكذا لو تتبعنا جميع أسباب براءة يوسف عليه السلام من الهمّ بالفاحشة، لو جدناها من الكثرة بحيث لا يتسع لها هذا المختصر.

---

(١) سورة يوسف، آية: ٢٢.

(٢) سورة يوسف، آية: ٢٤.

(٣) سورة غافر، آية: ٥.

(٤) سورة التوبة، آية: ٧٤.

□ موسى عليه السلام

والله سبحانه يقول في موسى عليه السلام:

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ (١).

فموسى عليه السلام دخل المدينة، فوجد فيها مصرياً وإسرائيلياً من قومه، وهما يتضاربان، إلا أن الإسرائيلي الذي هو من شيعته وقومه ضعيف غير قادر على مقاومة المصري، فاستغاث بموسى؛ لينقذه منه، فحدث كما يحدث غالباً في مثل هذه المواقف أن ضرب موسى المصري بيده ضربة أصابت منه مقتلاً، ولم يقصد إلى قتله قط وإنما قصد أن يمنع عدوانه عن أخيه، فحدث القتل الخطأ الذي لا مؤاخذة عليه إلا من حيث عدم التحري والوعي الكامل، ولا سيما لمن هم في أعلى المستوى البشري كموسى، ونحوه من أولي العزم، ولذلك رجع إلى ربه ذاكراً خطأه طالباً من الله العفو والغفران.

□ داود عليه السلام:

يقول الله سبحانه في داود عليه السلام:

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ

(١) سورة القصص، الآيتان: ١٥ و١٦.

دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْۖ قَالُواْ لَا تَخَفْۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾[1].

وهذه القصة ليس فيها ما يدل على أن داود عليه السلام قد عصى ربه بارتكاب ما ينافي العصمة.

وكل ما يمكن أن يقال في هذا... إنه قضى بين الخصمين بعد أن سمع من أحدهما قبل أن يسمع من الآخر. والتعجيل بالحكم قبل الاستماع إلى الطرفين يعتبر في نظر القضاء مخالفة، ولا سيما إذا كان القاضي نبياً كداود عليه السلام، ممن أوتوا الحكمة وفصل الخطاب.

ويمكن أن يقال أيضاً إنه خاف من تسور الخصمين المحراب ودخولهما عليه بغتةً وهو بين يدي اللّٰه. خاف أن يقتلاه كما كانت عادة بني إسرائيل من قتلهم الأنبياء، فكان هذا الخوف، وهو في المحراب ومائل بين يدي اللّٰه، مما لا يليق بمكانته وعظيم قدرته وحسن صلته باللّٰه، مالك ناصية كل شيء.

وسواء أكان ما ينسب إلى داود عليه السلام من العجلة في الحكم أو من الخوف من القتل، فقد ظن أنه مُختبر بما وقع له، فاستغفر ربه، وخرّ راكعاً منيباً إلى اللّٰه راجعاً إليه.

---

(1) سورة ص، الآيات: ٢١ ـ ٢٥.

ولا يمكن أن تتضمن القصة التي ذكرت في القرآن معنى آخر وراء ذلك مما ينتقص من قدر نبيّ عظيم.

وما ذكر من أن المقصود بالنعجة هي المرأة، وأن داود اغتصب زوجة أحد قواده بحيلة احتالها عليه، فهو من الإسرائيليات المكذوبة، ومن الدخيل الذي يتنافى مع عظمة الرسالة، وكمال النبوة، وشرف الدعوة التي انتدب اللّه لها خيار خلقه وصفوة عباده.

□ سليمان عليه السلام:

يقول اللّه سبحانه في سليمان عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾[1].

والابتلاء الذي تعرض له سليمان وهو المرض الشديد الذي جعل منه جسداً ملقى على الكرسي لا يستطيع معه الحركة، كان سبباً في ضعف نفسه، وضعف مقاومته، فتاب إلى اللّه من هذا الضعف الذي يعتري البشر عادة، وكان الأجمل به يتجمل بالصبر الجميل.

ويقال إن سليمان كان له ولد فاجر انتزع ملكه من أبيه، فكان ذهاب ملك سليمان على يد ابنه الفاجر ابتلاء له، ثم ردّ اللّه ملكه إليه بعد أن سلب منه، فسأل اللّه عقب ذلك أن يغفر له ما يمكن أن يكون حدث من تقصير في شكر اللّه، وسأله أن يهبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فاستجاب اللّه له.

---

(١) سورة ص، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

□ **محمد صلوات اللّٰه وسلامه عليه:**

وجاء في القرآن الكريم:

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾[1].

﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ۝٣﴾[2].

وظاهر الآية الأولى يوهم بأن للرسول ذنباً، وأنه عليه أن يستغفر الله.

وظاهر الآية الثانية يفيد بأن اللّٰه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

والمعروف من سيرة رسول اللّٰه، صلوات اللّٰه وسلامه عليه، أنه معصوم قبل البعثة وبعدها، فقد عصمه اللّٰه من عبث الطفولة ولهو الشباب، فلم يله كما كان يلهو غيره؛ لأنه أُعِدَّ لحمل رسالة الهدى والنور. وقد أشار إلى هذا فيما حدَّث به عن نفسه فقال: «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملونه غير مرتين. كل ذلك يحول اللّٰه بيني وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمني اللّٰه برسالته، قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي بأعلى مكة: لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة، وأسمر بها كما يسمر الشباب فقال: أفعل، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة، سمعت عزفاً. فقلت: ما هذا؟ فقالوا: عرس فلان بفلانة،

---

(١) سورة محمد، آية: ١٩.

(٢) سورة الفتح، الآيات: ١ ـ ٣.

فجلست أسمع، فضرب اللَّه على أذني، فنمت، فما أيقظني إلا حر الشمس، فعدت إلى صاحبي، فسألني، فأخبرته، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلت مكة، فأصابني مثل أول ليلة.. ثم ما هممت بسوء».

وكذلك كان، صلوات اللَّه وسلامه عليه، مدة حياته لا يخطر السوء على قلبه، وإذا كان ذلك كذلك فما معنى الذنب الذي أمر أن يستغفر منه، والذي قد غفر له ما تقدّم منه، وما تأخر؟

مما لا جدال فيه أن الرسول ﷺ كانت تصدر عنه بعض التصرفات التي لم يوح إليه شيء بخصوصها، بل كان أمرها متروكاً إلى اجتهاده الخاص، فكان في بعض الأحيان يؤديه اجتهاده إلى ما هو حسن، متجاوزاً ما هو أحسن منه، فاعتبر وقوفه عند الرأي الحسن، وعدم إصابته ما هو أحسن منه ذنباً بالنسبة إليه، وبالإضافة إلى مكانته من العلم والعقل والفقه.

وقد ذكر القرآن أمثلة لذلك:

فمنها اجتهاده في أسرى بدر، وقبوله الفداء، وقد عتب اللَّه عليه عتباً أبكاه:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [١].

أي لولا أن كتاب اللَّه وحكمه سبق بعدم مؤاخذة المجتهد على

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٦٧، ٦٨.

اجتهاده لعاقبكم بالعذاب العظيم على قبول الفداء، وعدم الاثخان في الأرض.

ولما نزلت هذه الآية بكى رسول اللَّه، وبكى معه أبو بكر بكاء شديداً، وقال: **«لو نزل عذاب من السماء ما نجا غير عمر»**.

ففي هذه الحادثة لم يكن من الرسول إلا الاجتهاد في قضية لم يوح إليه فيها بشيء، ولم يخطىء في حكمه فيها؛ لأن الرسول لا يقرّ على خطأ، وإنما عدل عما هو أحسن إلى ما هو حسن.

ومنها أنه قبل أعذار المتخلفين عن الغزو دون تمحيص هذه الأعذار؛ ليتبين له من هو صادق ممن هو كاذب.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾[1].

ومن ذلك عتاب اللَّه له في إخفائه أمر زواجه زينب بنت جحش بعد طلاق متبنّاه زيد بن حارثة لها، وكان اللَّه قد أمره بذلك؛ ليبطل تقليداً من تقاليد الجاهلية، إذ كانت هذه التقاليد تقضي بتحريم زواج زوجة المتبنّى مثل تحريم الزواج بزوجة الابن من النسب، فكان الرسول يجد حرجاً مثل أي إنسان عندما يتحرج من مخالفة التقاليد والخروج على العادات.

وقد رفع اللَّه عنه الحرج بعد العتب اليسير.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ

(١) سورة التوبة، الآيات: ٤٣.

وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾[1].

وما قيل غير ذلك فهو محض اختلاف.

ومما يدخل في هذا النطاق قول الله سبحانه:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾[2].

فهذا عتب من اللَّه لرسوله حين طمع في إسلام بعض صناديد قريش، فأقبل عليهم يدعوهم إلى اللَّه، وهم ينصتون له، ويقبلون عليه.

وفي هذه الأثناء حضر عبد اللَّه بن أم مكتوم، وأخذ يقاطع الرسول، ويقول له: علمني مما علمك اللَّه، ويكرر ذلك، فكان الرسول يضيق بهذه المقاطعة، ويعبس من الضيق، مع أن الرجل أعمى لا يبصر هذا العبوس، ومع ذلك عاتبه اللَّه فيه، فكان لما لقيه بعد ـ يقول له: أهلاً بمن عاتبني فيه ربي.

ومن هذا ما روي أن رسول اللَّه صلوات اللَّه وسلامه عليه قرأ قول اللَّه سبحانه:

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٣٧، ٣٨.

(٢) سورة عبس، الآيات: ١ ـ ١٠.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾[1].

تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى.

فهذا كذب محض وافتراء أحقر من أن يناقش، وليس فيه صلة بين هذه الأكذوبة وبين قول اللّٰه سبحانه:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾[2].

فإن الآية تقرر أنه ما من نبي، ولا رسول تمنى هداية قومه، واستجابتهم دعوتهم إلا جاء الشيطان واضعاً أمامه العقبات، وميئساً له من الوصول إلى الهدف الذي يستهدفه، إلا أن اللّٰه سبحانه يعجّل بإزالة ما يلقى الشيطان من وسوسة تيئسُهُ، ويحيي في نفسه الأمل والرجاء.

هذا هو ما نسب إلى رسل اللّٰه وأنبيائه، وهو لم يخرج عن كونه هنات هينات لا تصل إلى درجة المعصية، ولا تتنافى مع العصمة، ولا تنقص من أقدارهم السامية، أو تنال من مكانتهم الرفيعة.

ويأبى اليهود والنصارى إلا أن يجرحوا كثيراً من الأنبياء والرسل، وينسبوا إليهم ما نزَّههم اللّٰه عنه، وصانهم منه، بل إن كتبهم ترمي بعض الأنبياء بكبائر الإثم والفواحش.

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ١٩، ٢٠.

(٢) سورة الحج، آية: ٥٢.

والنصارى تغالوا في هذا، وبالغوا فيه، ليوجبوا العصمة للمسيح وحده، وهم يقصدون بهذا إقامة الأدلة على أن عيسى إلٰه منزّه عن الخطايا من جهة، وأنه جاء ليخلص الإنسان من خطيئة أبيه آدم، والتي ورثها عنه أبناؤه، ويفدي البشر بنفسه من جهة أخرى.

وعقيدة الفداء هذه هي أساس ديانة النصارى، ولكن كتبهم ـ مع اعتقادنا بتحريفها ـ تكفي في الرد عليهم.

ففيها نصوص قاطعة بأن يوحنا أفضل من المسيح وأعظم منه، وأنه هو الذي تولى تعميده، وأنه معصوم من كل خطيئة، وأنه لم يشرب خمراً قط.

بينما نسب إلى المسيح أنه شريب خمر، كما نسب إليه عدم استجابته لدعوة أمه حينما دعي إليها [1].

ففي إنجيل لوقا (١ ـ ٦٥) أنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلىء بروح القدس.

وفيه (٦٦) كانت يد الرب معه.

وقال المسيح فيه (متى ١١: ١١) الحق أقول لكم إنه لم يضم بين المولدين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان.

وقال فيه (١٨) جاء يوحنا لا يأكل، ولا يشرب، فيقولون: فيه شيطان وجاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون: هو ذا إنسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة.

---

(١) ونحن نتزهه عن هذا ونعتقد أنه كان وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن الصالحين.

□ أولو العزم [1] من الرسل:

يقول اللَّه سبحانه:

﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [2].

قيل إن أولي العزم هم كل الرسل، وتكون من لبيان الجنس.

والمشهور من الأقوال: أنهم محمد، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم صلاة اللَّه وسلامه.

وقد نصَّ اللَّه على أسمائهم من بين الرسل في آيتين:

الأولى:

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ۝٧﴾ [3].

الثانية:

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [4].

□ أفضل الرسل:

أفضل الرسل على الإطلاق هو سيدنا محمد خاتم النبيين.

---

(١) العزم: الثبات والصبر.
(٢) سورة الأحقاف، آية: ٣٥.
(٣) سورة الأحزاب، آية: ٧.
(٤) سورة الشورى، آية: ١٣.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ (١).

والذي رفعه اللّه درجات هو سيدنا محمد.

وأدلّ دليل على هذا ما جاء في سورة آل عمران من تبشير الأنبياء به، وأخذ العهد والميثاق عليهم بالإيمان به ونصرته إن هم أدركوا بعثته.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ (٢).

وروي عن جابر أن رسول اللّه ﷺ قال:

«واللّه لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حلّ له إلا أن يتبعني».

وأما منعه صلوات اللّه وسلامه عليه من التفضيل بين أنبياء اللّه، وقوله:

«لا تفضلوا بين أنبياء اللّه».

فالقصد منه منع الغلو في تعظيمهم من جهة، وكف المسلمين عن تنقيص أحد من إخوانه الأنبياء من جهة أخرى.

□ ختم النبوة والرسالة:

الأنبياء جميعاً صلوات اللّه وسلامه عليهم كانت مهمتهم أن

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٨١.

ينقذوا الناس، ويخرجوهم من الظلمات إلى النور، فكانوا دائماً دعاة الخير، وأئمة الإصلاح وحملة المشاعل في الدنيا المظلمة.. وكان كل واحد منهم يأتي عقب الآخر؛ ليتمم ما بناه من قبله، فيزيد في الإصلاح لبنة حتى استكمل البناء بخاتمهم محمد صلوات اللّه وسلامه عليه، فكان دينه خلاصة الأديان السابقة، وكانت دعوته هي الدعوة الجديرة بالبقاء، ففيها عناصر الحياة ودعائم الإصلاح.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ (١).

وبإكمال دين اللّه الحق تمت نعمة اللّه على الناس بما أنزله إليهم من هداية فلا حاجة إلى هداية بعدها.

وبهذا انقطعت النبوّة، وختمت الرسالة.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ (٢).

وإذا كانت النبوّة قد انقطعت، فقد انقطعت بالتالي الرسالة، فلا نبوّة ولا رسالة بعد نبوة محمد خاتم رسل اللّه، وفي ذلك يقول، صلوات اللّه وسلامه عليه:

«مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً، فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فكان من دخلها، فنظر إليها قال: ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة، فأنا موضع اللبنة. خُتم بي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام».

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤٠.

□ الأعمال الكبرى التي تمثل نجاح سيدنا محمد:

إن لرسولنا صلوات اللّه وسلامه عليه أعمالاً كبرى يتمثل فيها نجاحه في دعوته، وهذه الأعمال يمكن تلخيصها فيما يلي:

العمل الأول: أنه قضى على الوثنية، وأحلّ محلها الإيمان باللّه واليوم الآخر.

العمل الثاني: أنه قضى على رذائل الجاهلية ونقائصها، وأقام مقامها الفضائل والمكارم والآداب.

العمل الثالث: أنه أقام الدين الحق الذي يصل بالإنسان إلى أقصى ما قدره له من كمال.

العمل الرابع: أنه أحدث ثورة كبرى غيرت الأوضاع والعقول والقلوب ونظام الحياة الذي درج عليه أهل الجاهلية.

العمل الخامس: أنهﷺ وحّد الأمة العربية، وأقام دولة كبرى تحت راية القرآن.

هذه هي الأعمال التي تمثل نجاح الرسولﷺ في مهمته. وهي كما تبدو كلها أمور كبيرة، وإقامتها بل إقامة واحد منها من الخطورة بمكان.

وإنه لا يمكن أن يتأتى النجاح لفرد في بعض هذه الأعمال فضلاً عن توفر النجاح في كل ناحية من هذه النواحي.

إن القيام بهذه الأعمال والنجاح فيها على هذا النحو لهو المعجزة الكبرى لحضرة رسول اللّه، صلوات اللّه وسلامه عليه ـ فإذا كان عيسى

له معجزة إحياء الموتى، وموسى له معجزة العصا، فإن هاتين المعجزتين في جانب هذه الانتصارات وإلى جانب هذه المعجزات لا تساوي شيئاً.

□ **دلائل صدقه:**

ومن دلائل الصدق على أن الرسول إنما هو مرسل من عند اللَّه ما يأتي:

أولاً: أنه كان زاهداً في الدنيا، فلم يكن يطلب على عمله أجراً، فقد كان زاهداً في المال، وفي كل ما هو مادي، كما كان زاهداً في الجاه والمنصب.

أما زهده في المال فإن طبيعة حياته تدل على ذلك أبلغ دلالة، فهو لم يفترش الحرير، ولم يلبس الديباج، ولم يتزين بالذهب. كان بيته كأبسط بيوت الناس، وكان يمر عليه الشهران، ولا يوقد في بيته ناراً. قال عروة وهو يسمع خالته عائشة تتحدث بهذا إليه: يا خالتي ما كان يُعيِّشكم؟ قالت: إنما هما الأسودان التمر والماء!!

وذات مرة رأى عمر بن الخطاب الرسول نائماً على حصير بالية، وقد أثّر في جسمه، فبكى، فقال له الرسول ما يبكيك؟ فقال:

ما بال كسرى وقيصر ينامان على الديباج والحرير، وأنت رسول اللَّه يؤثر في جنبك الحصير، فقال ﷺ يا عمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة.

ولقد جاءت الغنائم إلى الرسول بعد انتصار المسلمين، فرأت نساؤه أن يستمتعن بشيء من هذه الغنائم، وطلبن منه أن يكون لهن نصيب منها، فإذا بالآية الكريمة ترد على سؤال هؤلاء النسوة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾﴾ (١).

فجمع الرسول نساءه، وقال لهن: هل تردن اللّه ورسوله والدار الآخرة، أم تردن الدنيا وشهواتها؟ فاختارت كل واحدة منهن اللّه ورسوله والدار الآخرة فمدحهن وأنزل في حقهن.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾﴾ (٢).

ولقد توفي رسول اللّه ودرعه مرهونة عند يهودي، وقد عاش طول حياته، وما شبع من خبز الشعير قط.

أما زهده في الجاه فهو يتمثل في كل حال من أحواله.

أراد الصحابة أن يمتدحوه، ويثنوا عليه، فقال لهمﷺ :

«لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم».

وجاءه الوليد بن المغيرة مندوباً عن المشركين؛ ليفاوضه، وعرض عليه من كل متع الحياة، فكان جوابه أن قرأ عليه افتتاحية سورة حم فصّلت.

هذا هو الزهد الذي كان طبيعة من طبائع الرسولﷺ .

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٨ و٢٩.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٢.

ثانياً: ومن دلائل نبوته ﷺ أنه كان أمياً، وأقام هذه الأعمال الكبار وهو أمّي لم يقرأ، ولم يكتب، ولم يدخل معهداً، ولم يتتلمذ على أستاذ، ولكنه نجح، وبلغ هذه المرتبة التي لم يبلغها أحد قبله، ولا أحد بعده.

والقرآن يسجل هذه الحقيقة ليجعلها أمارة صدقه ودليل أمانته، يقول الله سبحانه:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾[1].

وما كان الرسول يعلم شيئاً من النبوة، ولا ما يتصل بالذات العلية، فجريان هذه الأعمال على يديه إنما هو دليل الإعجاز.

لأن المتعلمين الذين ينقطعون للعلم والبحث ليعجزون أن يصنعوا شيئاً مما فعله الرسول ﷺ.

ولا ريب أن هذا تأييد وتوفيق من الله تبارك وتعالى. والقرآن يقول:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾[2].

(١) سورة الشورى، آية: ٥٢.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٨.

ولقد كان ذلك معروفاً لدى خصومه وكان يواجههم به، ولم يستطع أحد منهم أن يشكك في هذه الحقيقة السافرة. فيقول الله تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾[1].

أما الناحية الثالثة فهي الصدق، فلم يعلم عن الرسول ﷺ أنه كذب قط قبل البعثة ولا بعدها، ولقد جاءه الوحي، فذهب إلى خديجة، وقال لها: «لقد خشيت على نفسي، فقالت له: كلا والله لا يُخزيك الله أبداً. إنك لتصدق الحديث، وتصل الرحم وتحمل الكَلَّ، وتقري الضيف، وتُكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر».

ولقد عرض الرسول ﷺ لأول عهده بالنبوة الإسلام على أبي بكر رضي الله عنه، فصدَّقه لأول وهلة، وما توقف عن المسارعة إلى الإيمان به، لأنه كان يعلم صدقه وأمانته. ودخل أعرابي عليه، فنظر إليه، فوجد الصدق يحوطه، فقال: والله ما هذا الوجه بوجه كذاب.

□ التبشير بظهور خاتم الرُّسل:

لم تخل الكتب الإلهية المتقدمة من التبشير بظهور محمد ﷺ،

(١) سورة يونس، الآيتان:١٥ و١٦.

ونبوته، ففي سفر تثنية الاشتراع (التوراة) بشارة يقول: «أتى الرب من طور سيناء وارتفع من صير إليهم، وشع شعاعة من فاران، وتقدم إلى الأمام ومعه عشرة آلاف من الأبرار، ومن يمينه خرج كتاب التقوى».

فالإتيان من طور سيناء إلى ظهور الرب لموسى الكليم، والارتفاع من صير يشير إلى استيلاء داود على صير. وأما فاران فهو اسم أرض الحجاز القديم حيث ظهر محمد رسول اللّه صلوات اللّه وسلامه عليه من سلالة إبراهيم عليه السلام.

وأما التقديم إلى الأمام ومعه عشرة آلاف من الأبرار فهو إشارة إلى النبي محمد ﷺ فقد دخل مكة يصحبه عشرة آلاف من أنصاره يوم فتح مكة.

ومن يمينه خرج كتاب التقوى: يشير إلى الشريعة التي خرج بها محمد ﷺ على العالم والتي لا زال نورها يضيء كل ما له شأن بالدين والدنيا من حياة عامة وخلق اجتماعي.

وهذا مثل ما جاء في القرآن الكريم من أن رسول اللّه ﷺ خاتم النبيين.

وفي إنجيل يوحنا: اصحاح ١٤ ـ ٢٦.

«وأما المغزى الروح القدس الذي يرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء». وهذا مثل قوله تعالى:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ (١).

---

(١) سورة النحل، آية: ٨٩.

وفي يوحنا أيضاً اصحاح ١٦ ـ ١٢.

«إن لي أموراً كثيرة أيضاً لا أقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ولكن متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدهم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بما يأتي».

وهذا يتفق مع قول اللّه سبحانه:

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ (١).

□ محمد ﷺ، دعوة إبراهيم وبشرى عيسى:

ولقد سجّل القرآن الكريم أن محمداً رسول اللّه، صلوات اللّه وسلامه عليه، كان استجابة لدعوة ابراهيم، كما كان بشرى بشّر بها عيسى عليه السلام، ففي سورة البقرة يحكي القرآن الكريم أن ابراهيم واسماعيل كانا يدعوان اللّه، وهما يرفعان القواعد من البيت، فيقولان:

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ (٢).

وفي سورة الصف يقول اللّه سبحانه:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ (٣).

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٨١.
(٢) سورة البقرة، آية: ١٢٩.
(٣) سورة الصف، آية: ٦.

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن عن أبي أمامة قال:

«قلت: يا نبي اللّه ما كان أول بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي ابراهيم، وبشرى عيسى».

قال عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنه، إن هذه الآية التي في القرآن:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥﴾[1].

قال في التوراة:

«يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً، ومبشراً، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل. ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه اللّه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا اللّه فيفتح به أعيناً عمياء، وآذاناً صماء وقلوباً غلفاً».

□ آيات الرسل:

لم يرسل اللّه رسولاً ليبلغ الناس الدين، ويعلمهم الشريعة، إلا وأيّده بالآيات التي تقطع بأنه مرسل من عنده، وأنه موصول بالملأ الأعلى يتلقى عنه، ويأخذ تعاليمه منه.

وهذه الآيات التي يؤيد اللّه بها رسله لا بد أن تكون فوق مقدور البشر وخارج نطاق طاقاتهم وعلومهم ومعارفهم، كما يجب أن تكون

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

مخالفة للسنن الخاصة بالمادة، وخارقة للعادات المعروفة والقوانين الطبيعية المألوفة.

ولذلك سمى العلماء هذه الآيات بالمعجزات، لأنها تعجز العقل عن تفسيرها كما تعجز القدرة الإنسانية عن الإتيان بمثلها.

وعرفوا المعجزة بأنها الأمر الخارق للعادة، الذي يجريه اللّه على يدي نبي مرسل، ليقيم به الدليل القاطع على صدق نبوّته.

ومن ثم كانت المعجزة ضرورية، وإظهارها واجباً؛ ليتم بها المقصود من تبليغ الرسالة، وتقام بها حجة اللّه على الناس.

وهذه الآيات ممكنة في ذاتها، والعقل لا يمنعها، والعلم لا ينفيها، والواقع يؤيدها.

فقد قام رجال وادعوا أنهم رسل اللّه، وتحدّوا أممهم بما أظهروه من هذه الخوارق، ورآها الناس عياناً، وآمن بها ألوف وألوف عبر القرون والأجيال.

بل إن العلم الحديث نفسه أثبت أن النواميس الطبيعية يمكن تخلفها عن إحداث آثارها بنواميس أخرى أرقى منها، كما أثبت العلم أيضاً أن معجزات الأنبياء كلها صحيحة.

والناظر فيما كتبه العلماء المحدثون من عالم الأرواح، وعجائب استحضارها، وغرائب التنويم المغناطيسي، وما إلى ذلك يدرك لا محالة أن هذه الخوارق أمور ممكنة، وليس شيء منها بمحال أصلاً.

والمؤمنون باللّه لا يتوقفون في تصديق شيء، متى ثبت بالدليل

القاطع الذي لا يتطرّق إليه الشك؛ لأنهم يعلمون أنه، سبحانه، لا يتقيد بالسنن التي وضعها فهم يعلمون بأن الذي قدر على جعل النار محرقة قادر على سلبها خاصة الإحراق كما فعل مع «ابراهيم» حين ألقي في النار، فلم يحترق.

﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾[1].

وهم يعلمون أن الذي قدر على خلق الإنسان من ذكر وأنثى، وخلق آدم من تراب، قادر على أن يخلق من السيدة مريم العذراء بدون لقاح طبيعي أو صناعي.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾[2].

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾[3].

وهم يؤمنون بأن الذي أعطى المرأة الولود القدرة على الإخصاب قادر على أن يعطي العقيم هذه القدرة، كما فعل ذلك لأم يحيى بن زكريا، عليها السلام.

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٦٨، ٦٩.

(٢) سورة مريم، الآيتان: ٢٠ و٢١.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٩١.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾ (١).

وهكذا يرى المؤمنون باللَّه أن اللَّه خالق الكون، ومدبر أمره، وواضع سننه لا يتقيد بهذه السنن الظاهرة، وأن وراء هذه السنن سنناً أخرى فوق ما نعرف، وأن الكون ليس كما يزعم السطحيون من الماديين، ميكانيكياً يسير حسب ما يتصورون، وأنه ليس له مدير يدبر أمره، وينظم شؤونه... لا. إن الكون أكبر مما يتصوره هؤلاء وأعظم، وما عرفوا منه إلا الأسماء التي يسترون بها جهلهم، وينفّسون بها عن غرورهم.

وإن الأمر كما قال القرآن الكريم:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ (٢).

وجاء في كتاب «الإسلام مع الحياة» بعنوان [العلم الحديث ورد الشمس].

جاء في قصص الأنبياء: أن يوشع بن نون كان في معركة مع أعداء اللَّه وكانت الشمس تغرب قبل أن ينتهي القتال، فخشي أن يعجزوه إذا امتد القتال إلى اليوم التالي، فقال للشمس: أنت في طاعة

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٣٨ ـ ٤٠.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٨٥.

اللَّه، وأنا في طاعة اللَّه، فأسألك أن تقفي حتى ينتقم اللَّه من أعدائه قبل الغروب، فاستجاب اللَّه الدعاء، ووقفت الشمس، وزيد في النهار حتى تم النصر ليوشع.

وقال اللَّه تعالى:

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾[1].

قال المفسرون: إن موسى عليه السلام ومن معه هربوا من فرعون لخوف القتل ولما انتهوا إلى البحر، ولم يجدوا سبيلاً إلى ركوبه أوحى اللَّه إلى موسى أن يضرب البحر بعصاه، وحينما امتثل ما أمر اللَّه به تجمع الماء على الطرفين بعضه فوق بعض، حتى صار كالجبل، وخرج موسى وأنصاره، وتبعهم فرعون وقومه في نفس الطريق، فأغرقهم اللَّه، وكان البحر يبساً في طريق موسى، وماء في طريق فرعون.

وكذب الكافرون كلاً من المعجزتين أو الحادثتين.

أولاً: لأنها خرق لقوانين الطبيعة.

ثانياً: لو صحّت لجاء ذكرها في غير الكتب الدينية، لأنها من الأحداث العالمية العجيبة.

وقرأت في جريدة الجمهورية عدد ١٣ ـ ١٢ ـ ١٩٥٧ ـ أن كتاباً في علوم الطبيعة ظهر حديثاً، وقد أثار ضجة كبرى في الأوساط العلمية، ولدى المؤرخين حيث أثبت بالأرقام المحسوسة واقعة انشقاق البحر، ووقوف الشمس في كبد السماء.

---

(١) سورة الشعراء، آية: ٦٣.

أما المؤلف فهو عالم روسي من علماء الطبيعة اسمه «ايمانويل فيلكوفسكي» درس العلوم الطبيعية في جامعة أدنبورج، ودرس التاريخ والقانون والطب في جامعة موسكو ودرس علم الأحياء في برلين وفي زيورخ، ودرس الطب النفسي في فينا. ولقد خرج المؤلف من أبحاثه التي استمرت أكثر من عشر سنوات إلى استنتاجات علمية تؤيد بدون قصد ما جاء في القرآن الكريم وسيرة الأنبياء.

وقد رأيت أن أنقل للقرّاء مقتطفات من الكتاب كما ترجمتها، ونشرتها جريدة الجمهورية.

قالت الجريدة: يقول المؤلف: إن نيزكاً هائلاً مرّ إلى جوار الكرة الأرضية في عهد يوشع خليفة موسى عليهما السلام. ثم عادت الظاهرة إلى الوجود بعد ذلك بسبعمائة عام.. وهذه الظاهرة الكونية الهائلة التي تسيرها قوى خارقة غير مرئية تفسر المعجزات التي جاء ذكرها في الكتب السماوية والتوراة والانجيل والقرآن.

إن اقتراب كوكب أو نيزك كبير من الأرض يحدث ظواهر متعددة، منها أن دوران الأرض حول نفسها يقل أو يقف حتى يخيل إلى الناس أن الشمس قد وقفت في كبد السماء، ومنها انشقاق البحر وانعقاد أعمدة من الغمام في النهار والليل، ولقد مرّ كوكب في عهد الفراعنة، فأمطر الأرض سيلاً أحمر طبع الأرض والنيل والبحر بلون الدم. وهذا يؤيد ما جاء في الآية الكريمة:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ﴾ [1].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٣٣.

وقد تساقط هذا التراب الأحمر في جهات متفرقة من الأرض.

إن المعجزة التي تخرق كل قوانين الفلك والطبيعة لا تصنعها سوى قدرة الخالق وحده.

لقد تمت المعجزة حين هرب موسى من اضطهاد فرعون مصر، فتابعه فرعون بجيوشه، ولكن انشق البحر، فمرّ موسى ومن معه بسلام حتى إذا اتبعهم فرعون وجنوده عاد البحر إلى سيرته الأولى، فانطبق على المطاردين، وابتلع الرجال والفرسان ولم ينج منهم أحد.

ويقول المؤلف: إنه في العهد الذي يقابل عهد موسى، يقول المؤرخون الصينيون إن الشمس آنذاك لم تغرب حتى لقد حرقت الغابات، وذاب الجليل. وهكذا لبثت الأرض ساكنةً كأن قوة جبارة قد صنعتها، ولا يعرف على وجه التحديد كم استمر وقوفها قبل أن تتابع دورانها حول نفسها مرة أخرى.

ولكن هل تابعت الأرض دورانها في نفس الاتجاه؟

إن الأرض الآن تدور من الغرب إلى الشرق، فهل كانت هكذا دائماً، إذا رجعنا في الإجابة على هذا السؤال إلى الخرائط القديمة فإن الإجابة هي لا، لأن الخرائط التي رسمها قدماء المصريين في سقف أحد المعابد تدل على أن الأرض كانت تدور قبل وقوفها من الشرق إلى الغرب، وهذا ما أكده أفلاطون في حواره عن السياسة حيث قال:

إن الشمس من قبل كانت تغيب حيث نراها تشرق، وهذا يفسر الآية الكريمة.

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾[1].

□ الفرق بين آيات الرسل وغيرها من الخوارق:

ولا تلتبس معجزات الرسل وآيات الأنبياء بما يحدث على يد غيرهم من خوارق العادات، فإن المعجزات تأتي مصحوبة بالتحدي، وتصدر عن رجال عرفوا بالتقوى والصلاح، وأنهم بلغوا منهم الذروة التي لا يتطاول إليها أي إنسان.

وتأتي المعجزات بدون كسب لأحد من البشر، فاللَّه هو الذي يمدهم بها مباشرة لأنها كما قلنا ليست في مقدورهم ولا مقدور غيرهم من الناس، وإنما هي آية من اللَّه وحده، ومعجزة لنبيه يتحدى بها معارضيه..

وأما ما يظهر على يد غير الرسل من خوارق العادات فهو كما قال الشيخ رشيد رضا، منقول عن جميع الأمم في جميع العصور، نقلاً متواتراً في جنسه دون أنواعه وليست كلها حقيقة.

فإن منها ما له أسباب مجهولة للجمهور، وإن منها لما هي صناعي يستفاد بتعليم خاص، وإن منها لمن خصائص قوى النفس في توجيهها إلى مطالعها، في تأثير أقوياء الإرادة في ضعفائها.

ويدخل في هذين الأمرين المكابدة في بعض الأمور، أن التنويم المغناطيسي يشفي بعض المرضى، ولا سيما المصابين بالأمراض

---

(١) سورة الرحمن، آية: ١٧.

الفظيعة التي يؤثر فيها الاعتقاد والوهم، ثم يقول:

ومنها انخداع البصر بالتخيل الذي يحذقه المشعوذون، ومنه ما فعله سحرة فرعون المعنى بقوله تعالى:

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ (١).

ومن انخداع السمع كالذي فعله الذين يدّعون استخدام الجن إذ يتكلمون ليلاً بأصوات غريبة عن أصواتهم المعتادة؛ فيظن مصدقهم، أن ذلك صوت الجن وقد يتكلمون نهاراً من بطونهم من غير أن يحركوا شفاهم؛ فلا ينبغي أن يوثق بشيء من أخبارهم.. الخ.

فأين هذا من معجزات الأنبياء وآيات الرسل؟

أين هذا من انشقاق البحر لموسى، وإحياء الموتى لعيسى، وإخراج الناقة من الصخرة لصالح، ونبع الماء من أصابع محمد صلوات اللّه وسلامه عليه؟

□ الفرق بين المعجزة والكرامة:

والكرامة هي ما يكرم اللّه به أولياءه بما يظهر على أيديهم، وليس من شرطها أن تكون خالقة للعادة، ولا خارقة عن مألوف الناس.

ومن الكرامة الاستقامة، والتوفيق إلى طاعة اللّه، والزيادة في العلم والعمل وهداية الخلق إلى الحق.

وقد يحدث بعض الخوراق للعادات على أيدي بعض الصالحين

---

(١) سورة طه، آية: ٦٦.

في بعض الأقوال فيعد ذلك من الكرامات التي تلازم بعض المخلصين والمتفرغين لعبادته، والذين سلمت فطرهم وزكت نفوسهم، كما وقع للسيدة مريم، وقد حكى القرآن الكريم عنها أنه:

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[١].

ولكن مع ذلك لا يتحدى بها، بل الأصل فيها الإخفاء والكتمان، قال الشيخ أحمد الرفاعي: إن الأولياء يستترون من الكرامة كما تستتر المرأة من دم الحيض، وهذا يخالف المعجزة، لأن إظهارها واجب ليتم بها تبليغ الرسالة.

□ معجزة خاتم الأنبياء:

ما بعث رسول اللّه رسولاً إلا وقد أيّده بالآيات الكونية والمعجزات المخالفة للسنن المعروفة للناس، والخارجة عن مقدور البشر، ليكون إظهارها على يديه مع بشريته دليلاً على أنه مرسل من عند اللّه.

فعدم حرق النار لابراهيم، وناقة صالح أو عصا موسى، وما ظهر على يدي عيسى[٢] من العجائب، كلها من هذا القبيل.

(١) سورة آل عمران، آية: ٣٧.

(٢) كان السحر اشتهر في عهد موسى، وكان طب إنكار الروح في عهد عيسى، وكانت البلاغة في عهد محمد. فكانت معجزة كل نبي حسب ما اشتهر على عهده، مع ملاحظة أن المعجزة فوق مقدور البشر، فهي أعلى مستوى وأرفع قدراً.

وكانت الآيات حسية يوم أن كان العقل الإنساني في الطور الذي لم يبلغ فيه الرشد بعد، ويوم أن كانت هذه العجائب تبلغ من نفسية الجماهير مبلغاً لا تملك معه إلا الإذعان والتسليم.

فلما بدأ الوعي الانساني يدخل في سن الرشد، وبدأت الحياة العقلية تأخذ طريقها إلى الظهور والنماء، لم تعد تلك العجائب هي الأدلة الوحيدة على صدق الرسالة.

ولم يعد من السهل على العقل أن يذعن لمجرد شيء رآه خارجاً عن عرف الحياة.

إنه يريد شيئاً جديداً يتناسب والطور الذي وصل إليه. يريد الإيمان الذي لا تخالطه الشكوك، واليقين الذي يبدد ظلام الشبهات.

وما كان اللّه ليمد النوع الإنساني في طفولته بما يحفظ به حياته الروحية، ثم يدعه بعد أن أخذ سبيله إلى النظر العقلي، والاستقلال الفكري دون أن يقيم له من الأدلة ما يتناسب والارتقاء الذي انتهى إليه، فكان أن بعث محمداً ﷺ ، وأيّده بالمعجزة العلمية، والحجة العقلية، وهو القرآن الكريم.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ (١).

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبيﷺ قال:

«ما من الأنبياء نبي إلا أُعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٨٨.

الذي أوتيتُه وحياً أوحاه اللّه إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة».

وهذا القرآن ليس من تأليف أحد، إنما هو وحي اللّه أنزله على أكمل صورة من صور الوحي.

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾(١).

فالآية تقرر أنواع الوحي الثلاثة:

(أ) «وحياً» أي إلقاء المعنى في القلب المعبر عنه بالنفث في الروع. وفي الحديث:

«إن روح القدس نفث في رُوعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا اللّه وأجملوا في الطلب».

(ب) الكلام من وراء الحجاب، وهو أن يسمع الموحى إليه كلام اللّه، من حيث لا يراه، كما سمع موسى عليه الصلاة والسلام النداء من وراء الشجرة.

﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾(٢).

---

(١) سورة الشورى، آية: ٥١.

(٢) سورة القصص، الآيتان:٢٩ و٣٠.

(جـ) ما يلقيه ملك الوحي المرسل من اللَّه إلى رسوله، فيراه متمثلاً بصورة رجل أو غير متمثل.

روى البخاري عن عائشة رضي اللَّه عنها، أن الحارث بن هشام، سأل رسول اللَّهﷺ فقال: يا رسول اللَّه كيف يأتيك الوحي؟ فقال: **أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني فأعي ما يقول.**

قالت عائشة رضي اللَّه عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً.

وأكمل هذه الأنواع هو إرسال الرسول بالوحي.

وهذه الصورة هي التي نزل بها القرآن الكريم، فقد نزل بواسطة جبريل عليه السلام.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[1].

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾[2].

جاء هذا الوحي ثورة على الباطل في كل صوره، وعلى الفساد في جميع مظاهره، فثار على الخرافات التي لوثت العقول، وعلى

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢ ـ ١٩٥.
(٢) سورة البقرة، آية: ٩٧.

الانحراف الذي شوّه الفطر، كما ثار على العرف الفاسد الذي عطّل حرية الفكر واستقلال الإرادة.

ثار على هذا كله ثورة عاتية دمرت كل معالم الشر، ومحت كل لون من ألوان الفساد واستبدل بها الحقائق التي تهدي العقل، وتنير الضمير وتسمو بالنفس؛ لتصل إلى أقصى ما قدر لها من الكمال الإنساني.

ولم تكن هذه الثورة تستهدف مصلحة ذاتية، ولا منفعة وطنية، ولا ترجيح كفة جماعة حاكمة على كفة جماعة أخرى، ولا إيثار مذهب على مذهب، وإنما كانت لخير العالم كله ومصلحة الناس جميعاً.

جاء هذا الوحي ليحل المشكلات التي أعضلت الناس قديماً وحديثاً.

وليجيب على كل سؤال من هذه الأسئلة:

١ ـ ما هو الدين وما مبادئه؟

٢ ـ من هو اللَّه؟ وما صفاته؟

٣ ـ ما هي الرسالة؟ ومن هم الرسل؟ وما وظائفهم؟

٤ ـ ما ماهية الحياة بعد الموت؟

٥ ـ ما هو الخير؟ وما هو الشر؟

٦ ـ لماذا خلق الإنسان؟ وما مركزه في الكون؟

٧ ـ ما علاقة الإنسان بغيره؟ وما علاقة الأمم والشعوب بعضها ببعض؟

٨ ـ ما علاقة الرجل بالمرأة؟

٩ ـ ما هي الثروة؟ وما مصدرها؟ وما هي كيفية توزيعها؟

١٠ ـ ما هي الحياة الطيبة؟ وما السبيل إليها؟

وهكذا يمضي القرآن يضع أمام العقل الإنساني مئات المسائل التي لا يُستغنى عنها في دور العلم والفلسفة، والتي تعجز جميع العقول الانسانية عن الإحاطة بعشر معشارها، فضلاً عن الإحاطة بها كلها، والتي يحتاج إليها في قطع مرحلة هذه الحياة لتكون أعلاماً هادية، تجنبه الضلال في شؤون الدين والانحراف في تقلبات الدنيا.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾[1].

كل هذه المسائل جاءت في أسلوب بلاغي رائع يملك على المرء حسه ويستولي على مشاعره، ويوقظ حواس الخير فيه، مع بعده عن الاختلاف، وسلامته من التناقض.

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[2].

إنه لم يعرف لكتاب من الكتب مثل ما لهذا القرآن، من سمو الموضوع، وسحر البيان، وقوة التأثير مما وجه عناية العلماء إلى الاهتمام بدراسته من حيث ألفاظه، ومعانيه وعقائده، وآدابه وأحكامه، وتشريعاته. فخلقوا بهذه الدراسة ثروة ضخمة من العلم والأدب، لا تزال

---

(١) سورة لقمان، آية: ٢٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٢.

ولن تزال المادة الصالحة لقيام حضارة إنسانية ينعم فيها البشر بحياة أفضل وعيش أرغد.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ﴾[1].

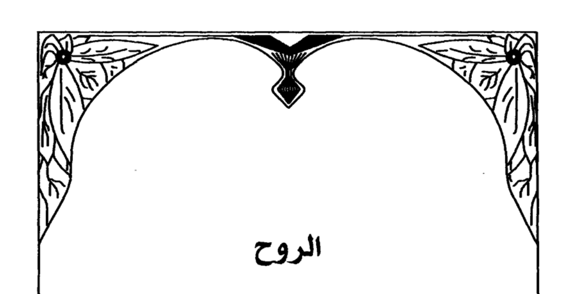
هذه هي المعجزة التي أيّد اللَّه بها نبيه الأميّ، والتي غيّر بها نفوساً، وأحيا قلوباً وأنار بصائر، وربى أمة، وكون دولة، في سِني تعد على الأصابع.

إذا كان قلب العصا حية معجزة فإن تغيير العقول والقلوب أبلغ في الإعجاز.

وإذا كان إحياء الميت من الخوارق التي أيّد اللَّه بها بعض أنبيائه فإن إحياء أمة أمّية من الجهل والرذيلة، وجعلها مصدر إشعاع وهداية، هو الخارق الذي تتضاءل في جوانبه جميع المعجزات.

اللَّه أكبر إن دين محمد
وكتابه أقوى وأقوم قيلا
لا تذكر الكتب السوالف عنده
طلع الصباح فأطفئ القنديلا

(١) سورة الشورى، آية: ٥٢.



الروح

* الإنسان جسد وروح.
* العلم الحديث والمباحث الروحية.
* حدوث الروح.
* الروح والنفس.
* الروح بعد مفارقتها الجسد.
* السؤال في القبر.
* مستقر الأرواح.

□ الإنسان مركب من جسد وروح:

فبالجسد يتحرك ويحس.

وبالروح يدرك، ويعي ويفكر، ويعلم، ويختار، ويحب، ويكره وأصل الجسد التراب، وهذه قضية مسلم بها، فإن الإنسان لا يكاد يموت حتى ينحل إلى عناصره الأولى التي لا تختلف عن باقي عناصر الأرض.

فلو أخذ الإنسان جزءاً من تراب الأرض الخصبة، وحللها تحليلاً كيماوياً لوجدها تتركب من عدة عناصر، ولو أخذ قطعة من جسم الإنسان وأجرى عليها عمليات التحليل لوجدها تتركب من هذه العناصر نفسها.

وقد أحصى العلماء العناصر التي يتألف منها جسم الإنسان.

وقالوا: أنه به من الكربون ما يكفي لعمل ٩ آلاف قلم رصاص، وبه من الفسفور ما يكفي لعمل ٢٠٠٠ رأس عود كبريت، وفي الإنسان حديد، وجير، وبوتاسيوم، وملح، ومغنسيوم وسكر، وكبريت، وهي كلها من المعادان التي تتألف منها تربة الأرض.

أما الروح فإن أمرها كان وما زال مثار جدل ونقاش بين العلماء والفلاسفة ولم ينتهوا في شأنها إلى رأي حاسم بعد.

أما القرآن، فقد أجاب عن التساؤل الذي ثار حولها إجابة بعد معجزة من معجزاته الكثيرة:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[١].

فالروح من أمر اللَّه الذي لا يعلمه غيره، ولم يطلعْ عليه أحداً سواه، ولم يُعْط الإنسان الوسائل التي توصله إلى هذا اللون من العلم والإحاطة به، فعلم الإنسان قليل ومحدود، وهو لم يدرك حقيقة المادة، ولا الكون المحسوس المحيط به، فكيف يتطلع إلى إدراك سر من أسرار اللَّه، وغيب من غيوبه؟؟

إن كل ما يمكن أن نعرفه عن الروح هو أنها تحل في الجسم، فتدِبُّ فيه الحياة ويظهر فيه الإدراك، والوعي، والتفكير، والعلم، والإرادة، والاختيار، والحب، والبغض، وأنها تفارق الجسم، فيتحول إلى مادة هامدة جامدة كسائر المواد.

ومن ثم فقد كانت الروح هي المميزة الإنسان عن غيره في هذا العالم، وبها صار عالماً وحده، وبالروح أسجد اللَّه للإنسان ملائكته، وسخّر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، وجعله سيد هذا الكون، وخليفته في الأرض.

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٨٥.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾[1].

وقد عرّفها العلماء من المسلمين، بأنها ذات مجردة عن المادة، وأنها جسم نوراني علوي حي، يغاير هذا الجسم المادي، ويسري فيه سريان الماء في العود الأخضر، لا يقبل التحلل ولا الانقسام، يفيض على الجسم الحياة وتوابعها، ما دام الجسم صالحاً لقبول الفيض.

□ العلم الحديث والمباحث الروحية:

ووجود الروح متفق عليه في الأديان السماوية كلها.

وظل الملايين من البشر يعتقدونه، ويؤمنون به منذ عرفوا هذه الأديان. حتى كان المذهب المادي الذي انتشر في القرون الثلاثة الأخيرة. فأخذ ينكر هذه الثنائية بقوة، ويعلن أنه ليس هناك عالم سوى هذا العالم المنظور، وأنه ليس شيء سوى المادة، وأنه لا مكان للروح في هذا الوجود.

ولقد تأثر كثير من الناس بهذا المذهب، ووجد له معلمون وأنصار في كل مكان، حتى كاد يطمس على كل معتقد ديني، ويطغى على كل ما عرفه الناس من التعاليم الإلهية، وجرف معه العلوم الطبيعية في هذا الاتجاه. إلا أن اللّه سبحانه قيض من العلماء من يتدارك هذا الأمر، ويقيم الأدلة العلمية على وجود عالم روحاني وراء هذا العالم المنظور بما لا يدع مجالاً للشك، ولا موضعاً للارتياب، فتأسست جمعيات

---

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٢٨، ٢٩.

لدراسة المباحث الروحية. وقد ثبت لها من الحقائق ما لم يكن يخطر على بال، ونحن نذكر ما كتبه العلامة الأستاذ محمد فريد وجدي «رحمه اللَّه» في ذلك قال:

في تاريخ تأسيس جمعية المباحث الروحية في انكلترا سنة ١٨٨٢:

جاء في كتاب الشخصية الانسانية، للعلامة الأستاذ (هـ. و. ميرس)، مدرس علم النفس في جامعة كمبردج ما يأتي:

«حوالى سنة ١٨٧٣ حيث كان المذهب المادي قد أوغل في البلاد حتى وصل إلينا، وبلغ أوج سطوته على العقول.

اجتمع ثلة من الزملاء في كمبردج، وأجمعوا رأياً على أن هذه المسائل العويصة المتنازع فيها، [يريد المباحث الروحية]، تستحق التفاتاً، وجهداً جديداً أكثر مما عولجت به إلى ذلك الحين، وكنت أرى أنا أن محاولة جديرة بهذا الاسم لم تعمل إلى ذلك للبت في: هل نحن أهل، أو غير أهل للإلمام بشيء يتعلق بالعالم غير المرئي؟ وكنت مقتنعاً بأنه لو أمكن معرفة شيء من ذلك العالم على أسلوب يمكن العلم أن يقبله، ويحفظه، فلا يكون ذلك بالتنقيب في الأساطير القديمة، ولا بوسيلة التأمل فيما بعد الطبيعة، ولكن بواسطة التجربة والمشاهدة، وبتطبيقنا على الظواهر التي تحدث فينا أساليب المباحث المضبوطة نفسها فإنها منزهة عن الهوى، ومتروى فيها، أقصد بها تلك الأساليب التي نحن مدينون لها بمعارفنا عن العالم المرئي المحسوس.

فالمباحث التي يجب علينا عملها ولا يمكن أن تقتصر على

تحليل ساذج للأسانيد التاريخية، أو التي صدرت عن هذا الوحي، أو ذاك مما حدث في الزمان الماضي، ولكن يجب أن تؤسس قبل كل شيء ـ ككل بحث علمي بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ـ على تجارب يمكننا تكرارها اليوم، مؤملين أن تزيد عليها غداً، فلا يمكن أن تكون إلا مباحث مؤسسة على هذه القضية. وهي: «إذا كان يوجد عالم روحاني، وكان هذا العالم الروحاني موجوداً في أي عهد كان، وكان قابلاً لأن يظهر ويستكشف، فيجب أن يكون كذلك في أيامنا هذه».

فمن هذه الوجهة، وبالجري على هذه الاعتبارات العامة، واجهت الجمعية التي أنا عضو فيها هذه المسألة».

ثم أخذ الأستاذ «ميرس» يسرد التجارب التي عملها، وعملها غيره مما لا سبيل إلى نشره هنا ثم قال: «ما هي الأدلة التي تحملني على الاعتقاد بأن كل هذا ليس بصحيح؟ هذا سؤال يجب أن يضعه كل إنسان نصب عينه، إذ التوصل إلى التحقُّق بغير طريق التأمل من الجهل المطلق الذي هو عليه بماهية الوجود الحقيقية.

إني أعترف في كل حال بأن معارفي فيما هو مرجح أو غير مرجح في الوجود لم تظهر لي كافية لرفض مشاهدات يظهر لي بحق أنها حقيقية، وأنها مع ذلك ليست مناقضة لمشاهدات وأصول عامة أكثر منها تأسيساً، ومهما كان مجال المشاهدات العلمية واسعاً فإنه حتى باعتراف ممثلي العلم الرسمي ـ ليس إلا نظرة عجْلَى في العالم المجهول، وغير المتناهي للنواميس الطبيعية». أ.هـ.

هذا هو تاريخ تكوُّن جمعية المباحث الروحية بلوندره سنة ١٨٨٢. من أقطاب العلم في انكلترا، ولا تزال باقية الآن.

وقد جمعت من التجارب الروحية ما وقع في نحو أربعة وخمسين مجلداً. وهو ذخر علمي لم يوجد له مثيل قط في أي عهد من عهود العقلية الانسانية، فإذا أراد قراؤنا أن يدركوا مقام هذه الجمعية في نظر رجال العلم، فليقرأوا ما كتبه عنها الأستاذ الكبير وليم[1] جيمس في كتابه «إرادة الاعتقاد».

قال في الصفحة ٣١٣:

«إن جميعة المباحث الروحية التي يمتد عملها في انكلترا وأميركا قد سمحت بأن يتلاقى العالمان: العلمي والروحاني في مجال واحد، وإني أعتبر أن هذه الجمعية مهما كانت وظيفتها محدودة سيكون لها نصيب كبير في ترتيب المعارف الانسانية، فلهذا أستحسن أن أفضي إلى القارىء بنتائج أعمالها بإيجاز، فأقول:

«إذا صدقنا الجرائد، وأوهام الصالونات ـ خيّل إلينا أن الضعف العقلي وسرعة التصديق هما الرباط المعنوي الجامع بين أعضاء هذه الجمعية، وأن حب العجائب هو الأصل المحرّك لها، والواقع أنه يكفي أن نلقي نظرة واحدة على أعضائها لدحض هذه التهمة، فإن رئيس هذه الجمعية هو الأستاذ «سدجوبك» المعروف بأنه أشد الناس شكيمة في النقد، وأعصاهم قياداً في الشك بجميع البلاد الانكليزية، ووكيلاها

(١) وهو مدرس علم النفس في جامعة هارفارد بالولايات المتحدة. ويعتبر بلا منازع أعظم علماء النفس في القرن التاسع عشر، وأن تلميذه وليم مكدوجل أستاذ علم النفس بجامعة ديوك ـ يعتبر عمدة في علم النفس الاجتماعي ـ وهو من أعظم علماء النفس في القرن العشرين!

«المستر ارثر بلفور» «والأستاذ.. ج ـ ب لنجلي» سكرتير المجمع العلمي.. ويمكن التنويه من أعضائها العاملين «الأستاذ.. ريشيه الفيزيولوجي» الفرنسي الخطير، وتشمل قائمة أعضائها رجالاً آخرين كفايتهم العملية أشهر من نار على علم، فإذا طلب إليَّ أن أعين جريدة علمية تكون مصادر أغلاطها منتقاة بأدق أساليب التمحيص، فإني أنوّه بمحاضر جمعية المباحث الروحية، فإن الفصول الفيزيولوجية التي تنشرها الجرائد الخاصة بهذا العلم لا تبلغ في دقة النقد مبلغ دقة هذه المحاضر المذكورة، حتى أن صرامة الأساليب الكشافة التي طبقت منذ عدة سنين على شهادات بعض الوسطاء كانت بحيث توجد اختلاف الآراء في باطن الجمعية نفسها[1]». أ.هـ.

وقبل أن تتألف هذه الجمعية حمل الرأي العام المجمع العلمي الانكليزي على تأليف لجنة لفحص الظواهر الروحية، وتمحيصها، فندبت ثلاثة وثلاثين علماً من أعلامها للقيام بهذه المهمة العلمية، فبذلوا في تحقيق هذا الموضوع ثمانية عشر شهراً، ثم حرروا تقريراً إجماعياً وقع في ٥١٤ صفحة، وطبع في أكثر اللغات الحية، جاء في آخره ما نصه:

«عقدت هذه اللجنة اجتماعاتها في البيوت الخاصة بالأعضاء لأجل نفي كل احتمال في إعداد آلات لإحداث هذه الظواهر أو أية وسيلة من أي نوع كانت.

---

(١) ولا تزال هذه الجمعية قائمة الآن في انكلترا وأميركا وهي تقبل في عضويتها المؤمنين بوجود الأرواح والمناهضين لهذه الفكرة، وكل ما تشترطه هو الاهتمام بالروح كظاهرة طبيعية.

«وقد تحاشت اللجنة أن تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه المهنة، أو الذين يأخذون أجراً على عملهم هذا، لأن واسطتها كان أحد أعضاء اللجنة. وهو شخص جليل الاعتبار في الهيئة الاجتماعيةوحاصل على صفة النزاهة المطلقة، وليس له من غرض مالي يرمي إليه، ولا أية مصلحة في غش اللجنة».

«كل تجربة من التجارب التي عملناها بما أمكن لمجموع عقولنا أن نتخيله من التحوطات. علمت بصبر وأناة وقد دُبِّرت هذه التجارب في أحوال كثيرة الاختلاف، واستخدمنا لها كل المهارة الممكنة لأجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا، وإبعاد كل احتمال لتزوير، أو توهم».

«وقد اكتفت اللجنة في تقريرها بذكر المشاهدات التي كانت مدركة بالحواس، وحقيقتها مستندة إلى الدليل القاطع».

«وقد بدأ نحو أربعة أخماس أعضاء اللجنة تجاربهم، وهم في أشد درجات الانكار لصحة هذه الظواهر، وكانوا مقتنعين أشد الاقتناع بأنها كانت إما بنتيجة التدليس، أو التوهم، أو أنها تحدث بحركة غير اعتيادية للعضلات، ولم يتنازل هؤلاء الأعضاء المنكرون للغاية عن افتراضاتهم هذه إلا بعد ظهور المشاهدات بوضوح لا تمكن مقاومته في شروط تنفي كل فرض من الفروض السابقة.

وبعد تجارب وامتحانات مدققة مكررة، اقتنعوا مضطرين بأن هذه المشاهدات التي حدثت في خلال هذا البحث الطويل هي مشاهدات حقّة لا غبار عليها».

هذا ما ورد في ذيل ذلك التقرير الضخم. ولسنا في حاجة لأن نقول: «إن هذا أكبر حدث سجل في تاريخ العلم.

ومن العبث المحض أن يتوهم متوهم أن الحقيقة تضيع، أو أن التدليس يروج بين يدي ثلاثة وثلاثين رجلاً من أعلام العلم المتمرسين على النظر والتمحيص، وتمييز الغث من السمين في كل ضروب البحوث البشرية.

ولقد كان لهذا التقرير أثر عالمي عام، فهبَّ ألوف من العلماء والفهماء في جميع ممالك الأرض لبحث هذه الخوارق، وألفوا لها مئات من الجمعيات، ونشروا مثلها من المجلات، ووضعوا فيها ألوفاً من الكتب، ولا تزال هذه المؤسسات قائمة إلى اليوم، والاهتمام بها يزداد على نسبة كثيرة ما يعمل فيها من التجارب والبحوث وقد أقيمت لها خمسة مؤتمرات عالمية في لورندة، وباريس، وغيرهما. وأصدرت تقارير إضافية ترجمت إلى اللغات الحية.

ثم بعد أن ذكر شهادة كثير من العلماء على صحة وجود عالم وراء هذا العالم. قال:

«يرى قرّاؤنا مما قدّمناه أن العلماء المنصرفين لدراسة الكون والكونيات قد ظهر لهم عقب حدوث اكتشافات خطيرة لم تكن تخطر لهم ببال، أن حدود العلم لا تزال بعيدة عنهم.

وأن كل ما حصلوه منه لا يعدو العلاقات الموجودة بين بعض ما يقع تحت حسهم من الموجودات.

أما كنه تلك الموجودات، وحقيقة النواميس التي تدبرها، فلا يزال أمرهما مجهولاً، وقد تجلى لهم أن من الحماقة وضع حد للممكنات،

والتكذيب بما لم يحيطوا بعلمه من المجهولات؛ ثم يرى قرّاؤنا أيضاً أن طائفة من أماثل هؤلاء العلماء قد وُفّقوا منذ تسعين سنة عقب ظهور حوادث محققة تدل على وجود عالم وراء العالم المحسوس، إلى التنقيب عن حقيقة ذلك العالم، جارين على أسلوبهم العلمي من المشاهدة والتجربة، فوقفوا على أمور لم يكن يدور في خلد أحد أنَّ أقطاب العلم المادي يعودون، فيثبتون وجودها، وقد سبق لهم نفيها، والتشنيع على القائلين بها من الشؤون الروحانية.

ولسنا نريد أن نثبت إمكان الوحي بالاستناد إلى اكتشافات هؤلاء العلماء في عالم مَا وراء الطبيعة، فقد أثبتنا وجوده بالحس من الغرائز التي طبعت عليها الحيوانات، ومن حوادث العبقريات، ولكننا نستأنس بها في بحثنا هذا، استدْلالاً على أن الانسانية قد اجتازت دون الافتتان بالماديات، وبدأت تدخل إلى عهد من الحياة تتفق فيها فتوحات الروح من طريق النبوة، وفتوحات العقل من طريق العلم، فتستقيم على الجادة التي توصلها إلى كمالها المرجو لها خالصة من الشبهات الرائنة على الصدور، والشكوك المحيِّرة للعقول، أ.هـ.

إلى هنا كانت مرحلة العلم بالناحية الروحية إلى أواخر العقد الثاني من القرن العشرين. حتى إذا استثارت هذه المباحث عقل «وليم مكدوجل»، ورأى أن ندرة تلك الظواهر التي أشرنا إليها سابقاً والتي اعتمد عليها العلماء السابقون في تقريرهم، وهي الظواهر التي تعتمد على الوساطة الروحية، وهي نادرة الوجود بين الأفراد، مما يجعل من المستحيل لتلك التجارب أن تتكرر بالانتظام العلمي المطلوب في إثبات الظواهر الكونية، والقوانين الطبيعية.

فطلب «مكدوجل» من صديقه الدكتور «راين» وكان أستاذاً للنبات وعضواً في جمعية المباحث الروحية التي سبقت الإشارة إليها، أن ينتظم في بحث علمي تجريبي يخضع لكل الاشتراطات العلمية من القابلية للتكرار، والتحكم العلمي الدقيق. وأن يقوم «مكدوجل» بإنشاء معامل تخصص لهذا النوع من البحث فقط، وفعلاً أنشئت معامل البارسيكولوجي «ما وراء علم النفس بجامعة ديوك» في ولاية كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الأميركية، ودخل فيها «راين» وصحبته زوجته، وكانت هي الأخرى أستاذة لعلم النبات. وبدأوا في أوائل العقد الثالث يوالون أبحاثهم التجريبية في معامل تجريبية أدخلت إليها، وفيها جميع أساليب الضبط، والتحكم العلمي الدقيق لدرجة أن القيود العلمية التجريبية التي أدخلت على بعض هذه التجارب كانت أكثر من أي قيود فرضت على أي تجربة علمية سابقة؟

وقد كان من نتيجة هذه الأبحاث التجريبية الوصول إلى النتائج الآتية:

١ ـ درس راين ومعاونوه الظواهر الروحية الخارقة، وبدأ بظاهرة انتقال الفكر «اللِّبْثي» وأثبتوا وجودها علمياً.

٢ ـ درسوا ظاهرة الاستشفاف، أو الجلاء البصري. وهي الإحساس بالحوادث التي تحدث على مسافات بعيدة، وأثبتوا وجودها.

٣ ـ أثبتوا، أن انتقال الفكر، والجلاء البصري مظهران لظاهرة واحدة أطلقوا عليها اسم: «الإدراك خارج الحواس».

٤ ـ أثبتوا، أن ظاهرة الإدراك خارج الحواس لا تخضع للعلاقة المكانية

والزمانية، التي تخضع لها جميع الظواهر المادية. وظواهر الطاقة سواء أكانت كهربائية أو حرارية أو ضوئية أو غيرها، بمعنى طاقة الجاذبية، أو طاقة الضوء تخضع لقانون التربيع العكسي أي أن شدة الجاذبية أو شدة الإضاءة، تتناقص بنسبة تتناسب مع مربع البعد عن مصدر الضوء، أي أن قوة إضاءة الشمعة إذا أُبعِدت عن الرائي الذي يراها على بعد متر إذا أبعدت إلى مترين، أي ضعف المسافة نزلت قوة الإضاءة إلى الربع، أي عكس مربع ٢ وهو ٤ فتصير $\frac{١}{٤}$.

هذا من ناحية العلاقة المكانية التي تخضع لها كل أنواع الطاقة.

كذلك العلاقة الزمانية التي يعبّر عنها في العلوم الطبيعية بقانون (السببية) أو العلة والمعلول، أي أن السبب يسبق النتيجة دائماً، ولكن هذا القانون انكسر في تجارب الإدراك خارج الحواس، بمعنى أن يحدث تنبؤ، فيحدث الإدراك العقلي للحادثة «هي نتيجة» قبل أن تحدث الحادثة في الكون وهي المؤثر أو السبب.

٥ ـ أثبت هؤلاء الباحثون أن العقل الذي يتأثر بالقانون العام المعروف في علم النفس، وهو قانون المؤثر والاستجابة له أو الرد عليه كذلك العقل، يستطيع أن يحس أو يتأثر بالمادة عن طريق الإدراك الخارج عن الحواس، وكذلك يؤثر في المادة بالطاقة، التي سموها الطاقة النفسية المحركة، أي أن العقل يؤثر في المادة دون اتصال مادي مباشر.

٦ ـ فإن كان هناك إدراك خارج عن الحواس، وطاقة نفسية محركة، فهذا دليل على أن للشخصية الانسانية شقاً لا يخضع للقوانين

الطبيعية المعروفة في علم الفيزياء، والكيمياء، أي أنه شق روحي.

ومن شاء الاستزادة من هذه الأبحاث فليرجع إلى كتاب «العقل وسطوته»، تأليف ج.ب. راين وترجمة الدكتور محمد الحلوجي. ففيه بحوث مستفيضة عن هذه الناحية. كما أن هذه البحوث التجريبية قد عرضت على مؤتمرين لكل علماء الولايات المتحدة في الرياضة الاحصائية وفي علم النفس، وأخذت إقرارهم جميعاً عليها، وبذلك فقد أصبحت الآن في موقف علمي فوق النقد، أو الجدل.

□ **حدوث الروح:**

والروح حادثة، وليست بقديمة بإجماع المسلمين، ويظهر أنها تحدث بعد تسوية الجسم، وتتصل به، وتحل فيه وهو جنين!

فعن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه، قال:

حدثنا رسول اللَّهﷺ ، وهو الصادق المصدوق: **«إن أحدكم يُجْمَعُ خلقه في بطن أمه أربعين يوماً. ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك. ثم يكون في ذلك مُضغَة مثل ذلك. ثم يرسل اللَّه تعالى الملك فينفخ فيه الروح. ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه. وأجله. وشقي، أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها»**[1] .

---

(١) رواه مسلم.

□ الروح والنفس:

والروح والنفس معناهما واحد، يقول اللّٰه سبحانه وتعالى:

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (١).

ويقول سبحانه:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ (٢).

فالأنفس في الآيتين المقصود بها الأرواح.

وقد ذكر القرآن النفس الأمّارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة وليست هذه بأقسام النفس، وإنما هي صفات:

فالنفس في حالة تسلّط الغرائز، وسيطرة الاستعدادات الفطرية عليها تكون أمّارة بالسوء:

﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ (٣).

فإذا تعلمت وتهذبت بالدين، والتعاليم المثالية، وُجِد الضمير. وهو الشعور النفسي الذي يقف من المرء موقف الرقيب يدعو إلى الخير، وينهى عن الشر، ويحاسب بعد أداء العمل مستريحاً للإحسان، ومستنكراً للإساءة.

---

(١) سورة الزمر، آية: ٤٢.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٩٣.

(٣) سورة يوسف، آية: ٥٣.

فإذا وصلت النفس إلى هذا الطور من اليقظة والمراقبة والمحاسبة واستراحت للخير، وضاقت بالشر، كانت في هذا الطور نفساً لوّامة!

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [(١)].

فإذا واصل الإنسان جهاد نفسه، فتخلّص من الهوى، وكبت شهواته، وارتفع عن النقائص، وسمت نفسه إلى الحق، والخير، والجمال والكمال، بلغ منزلة الرشد الذي يريد اللّه أن يصل إليه الإنسان في هذه الحياة، ليكون أهلاً لجواره في الدار الآخرة.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ [(٢)].

وحين يرتفع الإنسان إلى هذا المستوى الرفيع تكون نفسه قد اطمأنت بالحق والخير؛

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾ [(٣)].

وما لم يصل الإنسان إلى هذا المستوى يكون قد عرض نفسه لخسارة لا يمكن تداركها بعد.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [(٤)].

---

(١) سورة القيامة، الآيتان: ١، ٢.
(٢) سورة الحجرات، آية: ٧.
(٣) سورة الفجر، الآيات: ٢٧ ـ ٣٠.
(٤) سورة الشمس من الآية: ٧ ـ ١٠.

□ الروح بعد مفارقتها للجسد:

والروح بعد مفارقتها للجسد يكون الموت، وتبقى هي مدركة تسمع من يزورها، وتعرفه، وترد ﷺ، وتحس لذة النعيم، وألم الجحيم.

قال ابن تيمية:

«وقد استفاضت الأخبار بمعرفة الميت بحال أهله وأصحابه في الدنيا، وأن ذلك يعرض عليه، وأنه يرى ويدري ما يُفْعَلُ عنده، ويسر بما كان حسناً، ويتألم بما كان قبيحاً.

وروي أن عائشة رضي اللَّه عنها بعد أن دفن عمر رضي اللَّه عنه، كانت تستتر وتقول: «كان أبي وزوجي، فأما عمر فاجَنبيٌّ»... تعني أنه يراها.

«وروي أن الموتى يسألون الميت عن حال أهليهم، فيعرفهم أحوالهم. وأنه وُلِدَ لفلان ولد وتزوّجت فلانة» أ.هـ.

□السؤال في القبر!

اتفق أهل السُّنة والجماعة على أن كل إنسان يسأل بعد موته قُبر أمْ لم يقْبر فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً، ونسف في الهواء، أو غرق في البحر لسئل عن أعماله، وجوزي بالخير خيراً، وبالشر شراً. وأن النعيم أو العذاب على النفس والبدن معاً. قال ابن القيم:

مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو

عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً، ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العالمين، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى.

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل رضي اللّه عنه، وصحيح أبي حاتم: أن النبي ﷺ قال:

«إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم، حين يولون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، والصيام عن يمينه، والزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قِبَلي مدخل، ثم يؤتى من يمينه فيقول الصيام: ما قِبَلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره، فتقول الزكاة: ما قِبلي مدخل، ثم يؤتى من قِبَل رجليه، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان: ما قِبَلي مدخل، فيقال له: اجلس، فيجلس، قد مُثلت له الشمس، وقد أخذت للغروب. فيقال له: هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه؟ وماذا تشهد به عليه، فيقول: دَعُوني أُصَلِّي، فيقولان: إنك ستصلي، أخبرنا عما نسألك عنه؟ أرأيتك [1] هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه؟ وما تشهد عليه؟ فيقول: محمد ـ ﷺ ـ أشهد أن رسول اللّه جاء بالحق من عند اللّه فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك متَّ. وعلى ذلك

---

(١) أرأيتك: أي أخبرنا.

تبعث إن شاء اللَّه. ثم يفتح له باب إلى الجنة. فيقال له: هذا مقعدك. وما أعد اللَّه لك فيها، فيزداد غبطة وسروراً ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً. وينور له فيه. ويعاد الجسم لما بدىء منه، وتجعل نسمته[1] في النسيم الذيب، وهي طير معلق في شجر الجنة، قال: فذلك قول اللَّه تعالى:

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾[2].

وذكر في الكافر ضدَّ ذلك إلى أن قال: ثم يضيَّق عليه في قبره إلى أن تختلف فيه أضلاعه، فتلك المعيشة الضَّنْكُ التي قال اللَّه تعالى:

﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[3].

□ وقال الحافظ في الفتح:

وذهب ابن حزم، وابن هبيرة إلى أن السؤال يقع على الروح فقط من غير عَود إلى الجسد، وخالفهم الجمهور، فقالوا: تعاد الروح إلى الجسد، أو بعضه كما ثبت في الحديث، ولو كان على الروح فقط لم يكن للبدن من ذلك اختصاص، ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تفرق أجزاؤه، لأن اللَّه قادر على أن يعيد الحياة إلى جزء من الجسد، ويقع عليه السؤال، كما هو قادر على أن يجمع أجزاءه. والحامل

---

(١) نَسَمَته: أي رُوحه.

(٢) سورة ابراهيم، آية: ٢٧.

(٣) سورة طه، آية: ١٢٤.

للقائلين: بأن السؤال يقع على الروح فقط. إن الميت قد يشاهد في قبره حال المسألة لا أثر فيه، من إقعاد ولا غيره، ولا ضيق في قبره، ولا سعة، وكذلك غير المقبور كالمصلوب!. وجوابهم أن ذلك غير ممتنع في القدرة، بل له نظير في العادة وهو النائم، فإنه يجد لذّة وألماً، لا يدركه جليسه، بل اليقظان قد يدرك ألماً ولذّة لما يسمعه، أو يفكر فيه، ولا يدرك ذلك جليسه، وإنما أتى الغلط من قياس الغائب على الشاهد، وأحوال ما بعد الموت على ما قبله، والظاهر أن اللّه تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك وستره عنهم، إبقاء عليهم، لئلا يتدافنوا، وليست للجوارح الدنيوية قدرة على إدراك أمور الملكوت، إلا من شاء اللّه، وقد ثبتت الأحاديث بما ذهب إليه الجمهور، كقوله: «**إنه ليسمع خفق نعالهم**» وقوله: «**تختلف أضلاعه لِضَمَّة القبر**». وقوله: «**يسمع صوته إذا ضربه بالمطراق**» وقوله: «**يضرب بين أذنيه**» وقوله: «**فيُقْعِدانِهِ**» وكل ذلك من صفات الأجساد.

□ مستقر الأرواح!

عقد ابن القيم فصلاً ذ كر فيه أقوال العلماء في مستقر الأرواح، ثم ذكر القول الراجح فقال:

«الأرواح متفاوتة في مستقرّها في البرزخ أعظم التفاوت».

فمنها: أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين. وهم متفاوتون في منازلهم، كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء.

ومنها: أرواح في حواصل طير خُضْرٍ تسرح في الجنة حيث شاءت.

وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لِدَيْن عليه أو غيره، كما في المسند عن محمد بن عبد اللَّه بن جحَش، «أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه ما لي إن قُتِلْتُ في سبيل اللَّه؟ قال: «الجنَّةُ»، فلما ولى. قال: إلا الذين سارّني به جبريل آنفاً».

ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة. كما في الحديث الآخر: **«رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة»**.

ومنهم من يكون محبوساً في قبره كحديث صاحب الشَمْلة التي غلَّها [١]، ثم اسْتُشْهد فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده إن الشَّمْلة التي غلَّها لتشتَعِل عليه ناراً في قبره»**.

ومنهم من يكون مقرّه باب الجنة، كما في حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قُبَّة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بُكْرة وعشية» [٢].

وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب، حيث أبدله اللَّه من يديه جناحين يطير، بهما في الجنة حيث شاء.

ومنهم من يكون محبوساً في الأرض، لم تَعْلُ روحه إلى الملأ الأعلى فإنها كانت روحاً سُفليةً أرضيةً، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع

---

(١) غلَّها: سرقها من الغنيمة قبل القسمة.

(٢) رواه أحمد.

الأنْفُس السماوية، كما لا تُجامعها في الدنيا، والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها، ومحبته وذكره والأنس به والتقرُّب إليه، بل هي أرضية سفْلية، لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك.

كما أن النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكِفةً على محبة اللَّه وذكره والتقرب إليه، والأنس به، تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها فالمرء مع من أحب في البرزخ يوم القيامة، واللَّه تعالى يُزوِّجُ النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد ـ ويجعل روحه (يعني المؤمن) مع النَّسم الطيب «يعني الأرواح الطيّبة المشاكلة لروحه» فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها، وإخوانها، وأصحاب عملها، فتكون معهم هناك.

ومنها أرواح تكون في تنور الزُّناة والزَّواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة.

فليس للأرواح سعيدها وشقيّها مستقر واحد، بل روح في أعلى علِّيين، وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض.

وأنت إذا تأملت السُّنن والآثار في هذا الباب.. وكان لك بها فضل اعتناء عرفت حجة ذلك، ولا تظن أن بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تعارُضاً، فإنها كلها حق يُصَدِّق بعضها بعضاً. لكن الشأن في فهمها ومعرفة النفس وأحكامها. وأن لها شأناً غير شأن البدن.

وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء، وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه، وهي أسرع شيء حركة وانتقالاً وصعوداً وهبوطاً، وأنها تنقسم إلى مرسلة ومحبوسة، وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صحة،

ومرض، ولذة، ونعيم، وألم، أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير، فهنالك الحبس والألم والعذاب والمرض والحسرة، وهنالك اللذة والراحة، والنعيم والاطلاق وما أشبه حالها في هذا البدن بحال الطفل في بطن أمه! وحالتها بعد المفارقة بحالتها بعد خروجها من البطن إلى هذه الدار، فلهذه الأنفس أربع دور. كل دار أعظم من التي قبلها.

الدار الأولى: في بطن الأم، وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث.

والدار الثانية: هي الدار التي نشأت فيها وألفتها، واكتسبت فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاوة.

والدار الثالثة: دار البرزخ، وهي أوسع من هذه الدار وأعظم، بل نسبتها إليها كنسبة هذه الدار إلى الأولى.

والدار الرابعة: دار القرار، وهي الجنّة والنار. فلا دار بعدها.

واللَّه ينقلها في هذه الدور طبقاً بعد طَبَقٍ حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها، ولا يليق بها سواها، وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل إليها.

ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن، غير شأن الدار الأخرى، فتبارك اللَّه فاطرُها، ومُنشئها، ومُمِتُها، ومُحْييها، ومُسْعِدُها، ومُشقيها؛ الذي فاوَت بينها في درجات سعادتها وشقاوتها. كما فاوت بينها في مراتب علومها وأعمالها. وقواها وأخلاقها. فمن عرفها كما ينبغي، شهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك كله، وله الحمد كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، وله القوَّة كلها

والقُدْر كلها العزّ كله والحكمة كلها، والكمال المطلق من جميع الوجوه، وعرف بمعرفة نفسه صدق أنبيائه ورسله، وأن الذي جاؤوا به هو الحق الذي تشهد به العقول، وتُقِرّ به الفِطر، وما خالفه فهو الباطل، وبالله التوفيق.



أشراط الساعة

* العلامات الصغرى.
* العلامات الكبرى.
* المهدي.
* خروج المسيح الدجال.

الساعة وإن خفي علمها على الناس، فقد جعل اللَّه لها أمارات تدل على قربها. يقول اللَّه سبحانه:

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾[1].

وهذه العلامات منها: علامات صغرى، وعلامات كبرى.

□ العلامات الصغرى:

فأما العلامات الصغرى، فنجملها فيما يلي:

بعثة رسول اللَّه صلوات اللَّه وسلامه عليه، وختم النبوّة والرسالة به، فعن أنس أن النبي ﷺ قال:

«بُعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بالسبابة والوسطى»[2].

والمراد بهذا التشبيه أنه ﷺ ليس بينه وبين الساعة نبيٌّ آخر، فهي

---

(١) سورة محمد، آية: ١٨.

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

تليه، وتأتي بعده، وهذا علم بقربها، ولا يستلزم العلم بوقت مجيئها؛ فإن العلم بوقت المجيء لا يعلمه إلا اللَّه.

وأن يصبح الملوك والأمراء والرؤساء من أولاد السراري، لا من أولاد بنات البيوتات العريقة في حسن التربية، وعلو الأخلاق، وكمال المروءة، كما يصبح أهل البداوة، ورعاة الغنم من أصحاب الثروة والترف والقصور العالية والترأس على الناس.

فعنى أبي هريرة أن النبي ﷺ: **«كان يوماً بارزاً للناس، فأتاه جبريل، فقال، يا رسول اللَّه متى الساعة؟ فقال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها:**

إذا ولدت الأمة ربتها، فذاك من أشراطها.

وإذا كانت الحفاة العُراة رعاة الشاء رؤوس الناس فذاك من أشراطها.

وإذا تطاول رعاة الغنم في البنيان فذاك من أشراطها» (١).

وفي حديث جبريل أنه سأل الرسول عن الساعة، فقال: **«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»** (٢).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن عمر.

وفي حديث الإمام البخاري جملة من هذه العلامات، عدتها إحدى عشرة علامة، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

«لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة(١)، وحتى يبعث(٢) دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول اللّه(٣)، وحتى يقبض العلم(٤)، وتكثر الزلازل(٥)، ويتقارب الزمان(٦)، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل(٧)، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يُهم ربّ

---

(١) هما فئة الإمام علي وفئة معاوية.

(٢) أي يظهر.

(٣) مثل مؤسس القديانية والبهائية، وآخر ما سمعنا به من هؤلاء الدجالين الأحياء اليشع محمد الذي ظهر أخيراً في المكسيك، وادعى أنه رسول اللّه واستطاع أن يضلل مجموعة كبيرة من الزنوج الأميركيين، ولا يزال يعمل على تضليل الناس هناك باسم الدين. وأنه رسول رب العالمين.

(٤) المراد بقبض العلم: قبض علماء الدين والدعاة إلى اللّه: ففي الصحيحين عن عبد اللّه بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «إن اللّه لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا».

(٥) أي تكثر كثرة زائدة عما يعهده الناس، وهذه الكثرة تكون مقدمة للزلزلة الكبرى التي تتغيّر بها معالم الحياة.

(٦) أي أن المسافات البعيدة تقطع في زمن قليل بواسطة سفن الفضاء والطيارات والبواخر والقطرة، ونحو ذلك مما اخترعه الناس. وفي هذا إشارة من أمر الغيب الذي أعلم اللّه به رسوله بما سيحدث في مستقبل الزمان.

(٧) أي أن الفتن المذهبية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية تظهر بقوة، فيتسبب عنها القتل الكثير، كما حدث في الحرب العالمية الثانية، وكما ينتظر أن يحدث فيما إذا قامت حرب ذرية عامة، وهذه إحدى نبوآت الغيب.

المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب[1] لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان[2]، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول؛ يا ليتني مكانه[3]، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، ورآها الناس آمنوا أجمعين، فذلك حين (لا يَنفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) ولتقومن الساعة، وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعان، ولا يطويان، ولتقومنّ الساعة، وقد انصرف الرجل بلبن لِقْحَته فلا يطعمه[4]، ولتقومن الساعة وهو يُليط[5] حوضه، فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة، وقد رفع أكلته[6] إلى فيه، فلا يطعمها».

أما العلامات الكبرى، فنجملها فيما يلي:

□ طلوع الشمس من المغرب، وخروج الدابة:

عند قرب الساعة يحدث تغيير في نظام الكون، وتظهر آيات غير مألوفة للبشر، فتطلع الشمس من المغرب على خلاف ما نعهده الآن من طلوعها من المشرق، وتخرج دابة من الأرض تكلم الناس.

---

(١) لا أرب: لا حاجة لكثرة المال التي تكون آخر الزمان.
(٢) وقد تطاول الناس في هذا الزمان حتى بنوا ناطحات السحاب كما هو معروف في نيويورك بأميركا وغيرها.
(٣) لما يرى من تقديم من يستحق التأخير وتأخير من يستحق التقديم وتجاهل أقدار أصحاب المواهب وكثرة التعرض للفتن.
(٤) اللقحة: ذات اللبن من النوق.
(٥) يليط: يُصْلِحُ.
(٦) أكلته: المضغة من الطعام. والمعنى أن الساعة تأتي بغتة والناس لا يشعرون.

فعن عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال:

«إن أول الآيات خروجاً: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها قريباً»[1].

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

«لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، ورآها الناس آمنوا أجمعين، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً»[2].

ويقول اللّٰه سبحانه:

﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾[3].

ففي هذه الآية إخبار عن خروج دابة تكلم الناس حينما يأتي أمر اللّٰه، كمقدمة من مقدمات الساعة، وحينما لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً.

ولا ينبغي أن يبحث عما وراء ذلك من الغرائب التي قيلت في وصف هذه الدابة من أن طولها ستون ذراعاً بذراع آدم، وأن لها وجه

---

(١) رواه مسلم وأبو داود.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود: أي لا ينفع الإيمان نفساً كافرة لم تكن آمنت من قبل، ولا تنفع التوبة من المعاصي نفساً مؤمنة لم تكن كسبت خيراً في إيمانها.

(٣) سورة النمل، آية: ٨٢.

إنسان ورأس ثور وعين خنزير وأُذن فيل، وأنه لا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب، وأنها تحمل عصا موسى وخاتم سليمان، فذلك لم يصح منه شيء.

قال الإمام الرازي: «واعلم أنه لا دلالة في الكتاب على شيء من هذه الأمور، فإن صحّ الخبر فيه عن رسول الله ﷺ قبل وإلا لم يلتفت إليه».

إن خروج الدابة غيب من الغيوب، فيجب علينا الوقوف عندما أخبر به القرآن الكريم السُّنة الصحيحة، ولم يأت فيهما سوى أن دابة ستخرج، وتكلم الناس، وذلك من أمارات الساعة.

وقد ذكر في السورة نفسها، أن موسى عليه السلام ألقى عصاه بأمر الله، فإذا هي تهتز كأنها جان، وأن سليمان عرف لغة الطير، وسمع النملة وهي تدعو جماعتها، لتدخل مساكنها، مخافة أن يحطمها سليمان هو وجنوده وهم لا يشعرون، وأن سليمان تبسم ضاحكاً من قولها.

وفي السورة أيضاً أن الهدهد كلم سليمان بخبر سبأ، وقال:

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[١].

---

(١) سورة النمل، الآيات: ٢٣ ـ ٢٥.

والدابة التي ستخرج من الأرض، وتكلم الناس سيكون كلامها لهم من هذا القبيل.

□ المهدي:

خلاصة القول في الإمام المهدي: أنه سيظهر في آخر الزمان، وأن اسمه محمد ابن عبد اللَّه، أو أحمد بن عبد اللَّه[١]، وأنه من أهل بيت رسول اللَّهﷺ من ولد فاطمة[٢]، وأنه يُشْبِهُ الرسولﷺ في الخُلُق، ولا يشبهه في الخَلْق[٣]، وأنه أجلى الجبهة، أقنى الأنف[٤] وأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما مُلِئت ظلماً وجوراً، وأنه يقيم شريعة الإسلام، ويحيي ما اندثر من سنّة رسول اللَّه عليه الصلاة والسلام، وأن الإسلام تعلو كلمته في عهده يُلْقي بِجرَّانه إلى الأرض[٥]. ويمكن له ويكثر الرخاء في أيامه من وفرة العدل، وكثرة ما يعطى من المال، فهو يحثو المال حَثْواً، لا يعُدُّه عدّاً[٦]، وأنه يمكث سبع[٧] سنين ويأتي بعده الدجَّال، ثم ينزل عيسى، فيتعاون عيسى مع المهدي على قتله، ثم يُتوفَّى المهدي، ويصلي عليه المسلمون.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي.
(٢) رواه أبو داود والحاكم.
(٣) رواه أبو داود من كلام الإمام علي.
(٤) أي منحسر الشعر عن مقدم الرأس، وأن أنفه طويل مع حدب وسطه ودقة أرنبته.
(٥) يقرأ مرة ويستقر، رواه أبو داود.
(٦) رواه مسلم.
(٧) رواه أبو داود.

هذه هي خلاصة الروايات التي تحدثت عن المهدي. ورويت في شأنه، وهي في جملتها لا تخرج عن كونها أخباراً عن ظهور رجل من المصلحين في آخر الزمان يرفع لواء الحق، ويعلي كلمة اللَّه. ويمكن للإسلام، ويكون طليعة للخير العام الذي يأتي بعده، كما كان يوحنا قبل ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام.

على أثر ذلك يخرج الدجال اليهودي كمظهر من مظاهر الفتنة الكبرى، ليقاوم هذه النهضة الإسلامية محاولاً فتنة الناس عن دينهم بما أُعطي من علم وبراعة وقوة فيبطل اللَّه أمره بما يحدثه من آيات أكبر من فتنته؛ بإنزال عيسى عليه الصلاة والسلام ليكون قوة للحق الذي يمثله المهدي حينئذ، ويتعاون كل من عيسى والمهدي ومن ورائهما كتائب الإسلام على قتله، وإحباط أمره.

فإذا قتل الدجال انهزم اليهود الذين يقاتلون معه، وعددهم سبعون ألفاً (١) ثم يكشف اللَّه أمرهم، فلا يتوارى منهم يهودي وراء شيء إلا أنطق اللَّه هذا الشيء فقال:

يا عبد اللَّه المسلم، هذا يهودي فتعال اقتله. وبهذا يُقضى على أكبر فتنة من الفتن التي تحدث في الأرض. ثم يأخذ عيسى في العمل على محو المسيحية التي ارتكبت كل الحماقات باسمه، والتمكين لدين الحق دين الإسلام. ثم قال الرسول ﷺ فيكون عيسى في أمتي حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً. يدق الصليب (٢). ويذبح الخنزير. ويضع

---

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) يكسره إعلاناً بإنهاء المسيحية كما انتهت على يديه اليهودية.

الجزية[1]. ويترك الصدقة[2]، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض. وتُنزع حَمَةُ كلّ ذي حُمَةٍ[3] حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره، وتُفِر الوليدة الأسد فلا يضرها[4]، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا اللَّه وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور[5] الفضة تنبت نباتها بعهد آدم[6].

وبهذا يتحقق وعد اللَّه من إظهار الإسلام وإعلائه على الدين كله.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾[7].

ثم يحدث بعد ذلك النقصان ولا يزال الناس يبتعدون عن الدين شيئاً فشيئاً حتى يرتدون عن دينهم، فتقوم الساعة وهم على ما هم عليه من ردَّة وليس بعد الكمال إلا الفناء والزوال!!

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ

---

(١) أي لا يقبل من أحد غير الإسلام.
(٢) لا يقبلها لغنى الناس وقتئذ.
(٣) ينزع السم من ذوات السموم.
(٤) تحاول أن تفعل به ما يهرب منه ويفر.
(٥) إناء الفضة.
(٦) تنبت نباتها كما كان على عهد آدم في نمائه وحسنه وبركته.
(٧) سورة الفتح، آية: ٢٨.

مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (١).

□ خروج المسيح الدجال(*)

من علامات الساعة وأمارتها الكبرى أن يخرج المسيح الدجال، ويدعي الألوهية، ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم بما يحدثه من خوارق العادات، وبما يظهر على يديه من عجائب، فيُفْتَنُ به بعض الناس، ويثبت اللَّه الذين آمنوا، فلا يخدعون بأضاليله، ثم يُنجلى أمره، ويُقضى على فتنته، ويقتل بأيدي المسلمين وقائدهم حينئذٍ عيسى عليه السلام.

وقد حذرت الرسل أممهم من فتنته وغوايته، كما حذر منهم خاتمهم صلوات اللَّه وسلامه عليهم جميعاً.

فعن عمر «أن النبي ﷺ استنصت(٢) **الناس يوم حجة الوداع، فحمد اللَّه، وأثنى عليه، ثم ذكر الدجال، فأطنب في ذكره، وقال: ما بعث اللَّه من نبيّ إلا أنذر أمته، وإنه يخرج فيكم، فما خفي عليكم من شأنه، فلا يخفى عليكم أن ربكم ليس بأعور، وإنه أعور العين اليمنى كأن عينه طافية»**(٣).

---

(١) سورة يونس، آية: ٢٤.

(*) سمي بهذا الاسم لأنه يمسح الأرض ويقطعها في مدة زمنية، ولأنه أعور ممسوح العين.

(٢) استنصت: أي طلب سكوتهم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

قال الشيخ رشيد رضا:

«ويدل القدر المشترك منها [1] على أن النبي ﷺ كشف له، ويمثل له ظهور دجال في آخر الزمان، يظهر للناس خوارق كثيرة، وغرائب يفتتن بها خلق كثير، وأنه من اليهود، وأن المسلمين يقاتلونه، ويقاتلون اليهود في هذه البلاد المقدسة، وينتصرون عليهم، وقد كشف له ذلك مجملاً غير مفصل، ولا يوحى به عن اللّه، كما كشف له غير ذلك من الفتن فذكره، فتناقله الرواة بالمعنى، فأخطأ كثير منهم، وتعمد الذين كانوا يبثون الإسرائيليات الدس في رواياته.

ولا يبعد أن يكون طلاب الملك من اليهود الصهيونيين بتدبير فتنة في هذا المعنى يستعينون عليها بخوارق العلوم والفنون العصرية كالكهرباء والكيمياء وغير ذلك. واللّه أعلم.

ويؤيد هذا الذي قاله الشيخ رشيد الأحاديث الآتية:

عن أبي هريرة أن رسول ﷺ قال:

«لا تقومن الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله» [2].

وهذا مجاز عن عدم إفادة الاختبار شيئاً.

وعن معاذ بن جبل أن رسول اللّه ﷺ قال:

«عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج

---

(١) أي الأحاديث الواردة في الدجال.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال» [1].

وهذا الفتح غير الفتح الأول، ففي رواية الترمذي «فتح القسطنطينية مع قيام الساعة».

□ **نزول عيسى ﷺ:**

يستخلص من مجموع الأحاديث أن عيسى ﷺ ينزل في آخر الزمان أثناء وجود الدجال، ويكون نزوله هذا علامة من علامات الساعة الكبرى، فيحكم بالقسط، ويقضي بشريعة الإسلام، ويحيي من شأنها ما تركه الناس، ويقتل الدجال، ثم يمكث ما شاء اللَّه أن يمكث، ثم يموت، ويُصلى عليه، ويدفن، ثم تهب ريح تقبض أرواح المؤمنين جميعاً، فلا يبقى بعد ذلك إلا شرار الناس، فلا يكون بعد الكمال إلا الفناء والزوال.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبيﷺ قال:

«والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً [2]**، فيكسر الصليب** [3] **ويقتل الخنزير، ويضع الجزية** [4]**،**

---

(١) رواه أبو داود.
(٢) أي حاكماً بشريعة الإسلام، قائماً بالعدل.
(٣) يكسر الصليب إظهاراً لكذب النصارى وافترائهم عليه في دعوى أنه قتل وصلب.
(٤) يسقطها عن أهل الكتاب، ولا يقبل منهم إلا الإسلام.

ويفيض[1] المال، حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها». ثم قال أبو هريرة رضي اللَّه عنه، اقرأوا إن شئتم: «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً»[2].

أي ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام، قبل موت عيسى حين ينزل إلى الأرض، قبل قيام الساعة.

وعن عروة بن مسعود الثقفي رضي اللَّه عنه قال: سمعت عبد اللَّه بن عمرو يقول:

«قال رسول اللَّه ﷺ: يخرج الدجال في أمتي، فيمكث أربعين، قال: لا أدري أربعين يوماً، أو أربعين شهراً، أو أربعين عاماً، فيبعث اللَّه عيسى ابن مريم، كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه، فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل اللَّه ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع[3]، لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة

---

(١) أي يكثر الخير بسبب العدل.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) أحلام السباع: أي أنهم يسرعون إلى الشر والظلم، فيكونون في المسارعة كالطير، وفي الظلم كالسباع المفترسة.

الأوثان وهم في ذلك دارٌ رزقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور، فيُصعق الناس، ثم ينزل اللّه مطراً كأنه الطل [1] فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه [2] أخرى، فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلى ربكم «وقفوهم إنهم مسؤولون» ثم يقال: أخرجوا لبعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون. قال: فذاك يوم يجعل الولدان شيباً، وذلك يوم يكشف عن ساق».

وعن أبي عباس رضي اللّه عنهما أن رسول اللّه ﷺ قال:

«من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء» [3].

---

(١) كأنه الطل: أي المطر الخفيف.

(٢) ينفخ فيه: أي الصور، ولا يعلم عنه أحد شيئاً إلا أنه قرن ينفخ فيه، فتكون الساعة، وتقوم القيامة، ثم ينفخ فيه مرة أخرى فيكون البعث. وما بين النفختين مدة زمنية غير معلومة بالضبط عن أبي هريرة رضي اللّه عنه. عن النبي ﷺ قال: «ما بين النفختين أربعون قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً قال: أبيت(*) قالوا: أربعون شهراً قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة. قال أبيت. ثم ينزل اللّه من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة.

(*) أبيت: لا أدري ـ عجب الذنب: هو آخر عظم سلسلة الظهر لا يدركه البلى، ومنه ينبت الجسم في النشأة الآخرة.

(٣) رواه البخاري ومسلم.



اليوم الآخر

* الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان العقيدة.
* لم يخلق الإنسان عبثاً.
* مفهوم اليوم الآخر.
* اهتمام القرآن به.
* حكمة الاهتمام به.
* بداية اليوم الآخر.
* العلم الطبيعي واليوم الآخر.
* متى هو؟
* البعث.
* أدلة البعث.
* شبهة منكري البعث.
* لختلاف الناس عند البعث.
* الشفاعة.

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، وجزء من أجزاء العقيدة، بل هو العنصر الهام الذي يلي الإيمان باللَّه مباشرة.

لأن الإيمان باللَّه يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذي صدر عنه الكون، والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليه هذا الوجود.

وعلى ضوء المعرفة بالمصدر والمصير يمكن للإنسان أن يحدد هدفه، ويرسم غايته، ويتخذ من الوسائل والذرائع ما يوصله إلى الهدف، ويبلغ به الغاية.

ومتى فقد الإنسان هذه المعرفة فإن حياته سوف تبقى لا هدف لها، ولا غاية منها.

وحينئذٍ يفقد الإنسان سموه الروحي، وفضائله العليا، ويعيش كما تعيش الأنعام، تسيرها غرائزها الطبيعية، واستعدادتها الفطرية، وهذا هو الانحطاط الروحي المدمر لشخصية الإنسان.

□ لم يخلق الإنسان عبثاً:

والقرآن الكريم يلفت الأنظار إلى أن اللَّه لم يخلق الإنسان من غير هدف عال، ولا غاية سامية؛ لأن ذلك يتنافى مع كماله الأقدس وحكمته العليا.

فاللَّه لم يخلق الإنسان بيده، وينفخ فيه من روحه، ويفضله على ملائكته ويسخر له ما في السموات وما في الأرض، ويجعله سيد هذا الكوكب الأرضي دون غاية أو غرض.

فإن ذلك عبث يتنزه اللَّه عنه.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ (١).

إن للإنسان رسالة وهي الخلافة عن اللَّه في الأرض، وقد كلِّف بالقيام بواجبات هذه الخلافة، وهو مسؤول عنها أمام اللَّه.

وحُسبان غير هذا عدول عن الحق إلى الضلال.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ (٢).

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ١١٥، ١١٦.

(٢) سورة القيامة، الآيات: ٣٦ ـ ٤٠.

□ مفهوم اليوم الآخر:

يبدأ اليوم الآخر بفناء عالمنا هذا، فيموت كل من فيه من الأحياء، وتتبدل الأرض والسموات.

ثم ينشىء اللّٰه النشأة الآخرة، فيبعث اللّٰه الناس جميعاً، ويرد إليهم الحياة مرة أخرى.

وبعد البعث يحاسب اللّٰه كل فرد على ما عمل من خير أو شر.

فمن غلب خيره شره أدخله اللّٰه الجنة، ومن غلب شره خيره أدخله اللّٰه النار.

□ اهتمام القرآن بتقرير الإيمان بهذا اليوم:

والقرآن يهتم اهتماماً بالغاً بتقرير الإيمان بهذا اليوم، ويبدو هذا الاهتمام باليوم الآخر فيما يلي:

أولاً: بربطه بالإيمان باللّٰه.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾(١).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ٦٣.

ثانياً: يكثر القرآن من ذكره له، فلا تكاد سورة تخلو من الحديث عنه، مع تقريبه إلى الأذهان تارة بالحجة والبرهان، وتارة بضرب الأمثال.

ثالثاً: إن المتتبع لآيات القرآن يجد أنه وضع لهذا اليوم أسماء كثيرة، وكل اسم منها يدل على معنى ما سيحدث من أهوال في هذا اليوم.

فهو يوم البعث:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾[1].

ويسمى يوم القيامة:

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾[2].

ويسمى الساعة:

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾[3].

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾[4].

ويسمى الآخرة:

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾[5].

---

(١) سورة الروم، آية: ٥٦.
(٢) سورة الزمر، آية: ٦٠.
(٣) سورة القمر، آية: ١.
(٤) سورة الحج، آية: ١.
(٥) سورة الأعلى الآيتان: ١٦، ١٧.

ويسمى يوم الدين:

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[1].

ويسمى يوم الحساب:

﴿إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧﴾[2].

ويسمى يوم الفتح:

﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٢٩﴾[3].

ويسمى يوم التلاق:

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾[4].

ويسمى يوم الجمع والتَّغابن:

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾[5].

ويسمى يوم الخلود:

---

(١) سورة الفاتحة، آية: ٣.

(٢) سورة غافر، آية: ٢٧.

(٣) سورة السجدة، آية: ٢٩.

(٤) سورة غافر، الآيتان: ١٥ و١٦.

(٥) التغابن! يوم يغبن فيه أهل الجنة أهل النار، ويقال يوم الذهول الذي يحصل بين الناس من شدة الهول. سورة التغابن، آية: ٩.

﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾[1].

ويسمى يوم الخروج:

﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾[2].

ويسمى يوم الحسرة:

﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾[3].

ويسمى يوم التناد:

﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾[4].

ويسمى الآزفة:

﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾[5].

ويسمى الطامة:

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾[6].

ويسمى الصَّاخَّة:

---

(١) سورة ق، آية: ٣٤.

(٢) سورة ق، آية: ٤٢.

(٣) سورة مريم، آية: ٣٩.

(٤) التناد: يوم يتنادى فيه أهل الجنة والنار. سورة غافر، آية: ٣٢.

(٥) الآزفة: القريبة يوم القيامة. سورة النجم، الآيتان: ٥٧، ٥٨.

(٦) الطامة، الداهية، لأنها تطم على كل شيء أي تعلوه وتغطيه، أي أنها تعلو على سائر الدواهي. سورة النازعات، الآيتان ٣٤، ٣٥.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ (١).

ويسمى الحاقة:

﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣﴾ (٢).

ويسمى الغاشية:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١﴾ (٣).

ويسمى الواقعة:

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ (٤).

□ حكمة الاهتمام به:

وإنما اهتم القرآن هذا الاهتمام باليوم الآخر لعدة أسباب:

أولاً: إن المشركين من العرب كانوا ينكرونه أشد إنكار.

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (٥).

ثانياً: إن أهل الكتاب وإن كانوا يؤمنون باليوم الآخر إلا أن تصورهم له قد بلغ منتهى الفساد.

---

(١) الصاخة: تصخ: أي تصم الآذان من شدتها، سورة عبس، الآيات: ٣٣ ـ ٣٦.

(٢) الحاقة: سمي اليوم بذلك لأن فيه تظهر حقائق الأمور، وهي مأخوذة من حق الشيء إذا ثبت ووجب، لأن حصولها، واجب، سورة الحاقة، الآيات ١ ـ ٣.

(٣) الغاشية: الداهية التي يغشى هولها الناس، سورة الغاشية، ، آية: ١.

(٤) الواقعة: لأنها ستقع قطعاً لا محالة، سورة الواقعة، الآيات: ١ ـ ٣.

(٥) سورة الجاثية، آية: ٢٤.

فالنصارى: مثلاً يعتمدون فيه على وجود يسوع الفادي المخلِّص الذي يَفْدي الناس بنفسه، ويخلِّصهم من عقوبة الخطايا.

وهذا يطابق ما يقوله الهنود في كرشنه، وبوذا، سواء بسواء.

وعقيدة اليهود في اللَّه وفي اليوم الآخر لا تقل في فسادها وضلالها عن عقيدة النصارى، والهنود.

ثالثاً: إن الإيمان باليوم الآخر يجعل لحياتنا غاية سامية، وهدفاً أعلى، وهذه الغاية هي فعل الخيرات، وترك المنكرات، والتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل الضارة بالأبدان والأديان، والأعراض والعقول، والأموال. أي تحقيق معنى الخلافة.

ولا بد من تقوية الوازع النفسي الذي يرغِّب في الخير، ويصد عن الشر، ولا يقوى الوازع إلا بكثرة التذكير والتفنن في التصوير، وضرب الأمثال المتنوعة حتى تعمق جذوره، ويقوى تأثيره، ويحقق الغاية منه، فيرجع المنكر عن إنكاره، ويصحح المخطىء خطأه، ويحدد كل إنسان هدفه الأعلى لا يضل الطريق، أو تتعثر به الخطا.

□ بداية اليوم الآخر:

ويؤخذ من مجموع الآيات الكريمة أن اليوم الآخر يبدأ بإحداث تغيير عام في هذا الكون، فتتشقق السماء، وتتناثر النجوم، وتتصادم الكواكب، وتتفتت الأرض، ويخرب كل شيء، ويدمر كل ما عرفه الناس في هذا الوجود.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾[1].

□ العلم الطبيعي واليوم الآخر:

وهذا التخريب العام الشامل ليس بمحال، أو بعيد الحصول، فقد ثبت لدى علماء العلم الطبيعي أن هذا الكون سيأتي يوم ينتهي فيه كل شيء، فكما أنه تطور من الزمن القديم إلى ما انتهى إليه في وضعه القائم، فإنه سيتطور تطوراً حتمياً إلى الفناء والزوال.

فليس فيما قرره القرآن الكريم عن نهاية هذا العالم بما يتنافى مع أحدث نظريات العلم الطبيعي.

ومن أدل الدلائل على أن هذا من عند اللَّه، أنه لم يسبق أن تحدث أحد عن فناء هذا الكون بهذه الصورة، كما لم تتحدث الأديان السابقة. ولا يمكن أن يكون من تفكير رسول اللَّه ﷺ، فهذه إحدى معجزاته!!

□ متى هو؟

وقيام الساعة أو اليوم الآخر مما استأثر اللَّه بعلمه. فلم يطلع عليه أحداً من خلقه لا نبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرَّباً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾[2].

---

(١) سورة ابراهيم، آية: ٤٨.

(٢) سورة لقمان، آية: ٣٤.

ولقد كان الناس يسألون عنها رسول اللهﷺ، ويُلْحِفونَ في المسألة. فأمره الله أن يردَّ علمها إليه وحده.

﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[1].

وسجل هذا السؤال والإجابة عليه فقال:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا[2] لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ[3] فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ[4] عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[5].

عن ابن عمر، رضي الله عنهما، أن النبيﷺ قال:

«مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهنَّ إلا الله. إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت».

قال الألوسي في تفسيره: وإنما أخفى الله سبحانه أمر الساعة لاقتضاء الحكمة التشريعية ذلك، فإنه أدعى إلى الطاعة، وأزجر عن المعصية، كما أن إخفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك.

ولو قيل: بأن الحكمة التكوينية تقتضي ذلك أيضاً لم يبعد.

---

(١) سورة فصلت، آية: ٤٧.

(٢) لا يجليها لوقتها: أي يظهر أمرها.

(٣) ثقلت: أي صعب علمها، فلا يستطيع أهل السموات والأرض الوصول إليها.

(٤) حفيٌّ عنها: أي عالم بها.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٨٧.

وظاهر الآيات أنه عليه الصلاة والسلام لم يعلم وقت قيامها.. نعم عليه الصلاة والسلام قرَّبها على الإجمال، وأخبر ﷺ به، فقد أخرج الترمذي، وصححه عن أنس مرفوعاً: «**بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بالسبابة والوسطى**».

وفي الصحيحين عن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعاً أيضاً:

«**وإنما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الأمم من صلاة العصر إلى غروب الشمس**».

أما نهاية هذه الحياة فلم يأت فيها حديث صحيح يمكن التعويل عليه.

قال ابن حزم: وأما نحن (يعني المسلمين) فلا نقطع على عدم عدد معروف عندنا، ومن ادَّعى في ذلك سبعة آلاف سنة، أو أكثر، أو أقل ـ فقد قال ما لم يأت قط عن رسول اللَّه ﷺ فيه لفظة تصح، بل صحّ عنه ﷺ خلافه، بل نقطع على أن للدنيا أمداً لا يعلمه إلا اللَّه تعالى. قال اللَّه سبحانه:

﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ (١).

وقال ﷺ:

«**ما أنتم في الأمم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، أو الشعرة السوداء في الثور الأبيض**».

---

(١) سورة الكهف، آية: ٥١.

وهذه نسبة من تدبرها وعرف مقدار عدد أهل الإسلام ونسبة ما بأيديهم من معمور الأرض، علم أن للدنيا أمداً لا يعلمه إلا اللّه. وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام.

«بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين، وضم إصبعيه السبابة والوسطى».

وقد جاء النص بأن الساعة لا يعلم متى تكون إلا اللّه تعالى لا أحد سواه، فصح أنهﷺ إنما أراد شدة القرب لا فصل الوسطى عن السبابة، إذ لو أراد ذلك لأخذت نسبة ما بين الإصبعين ونسب من طول الإصبع، فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة. وهذا باطل، وأيضاً فكان تكون نسبتهﷺ إيانا إلى من قبلنا بأننا كالشعرة في الثور كذباً.. ومعاذ اللّه من ذلك، فصح أنهﷺ إنما أراد شدة القرب، ولهﷺ منذ بعث أربعمائة عام ونيف وألف واللّه تعالى أعلم بما بقي من عمر الدنيا، فإذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عندما سلف لقلته، وتفاهته بالإضافة إلى ما مضى، فهو الذي قالﷺ من أننا فيمن مضى كالشعرة في الثور أو الرقمة في ذراع الحمار.

□ **البعث:**

ويبدأ اليوم الآخر بالبعث: وهو إعادة الإنسان روحاً وجسداً، كما كان في الدنيا، وهذه الإعادة تكون بعد العدم التام، ولا يستطيع الإنسان معرفة هذه النشأة الأخرى، لأنها تختلف تمام الاختلاف عن النشأة الأولى.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ

﴿أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[١].

□ أدلة البعث:

ولقد أورد القرآن الكريم أدلة كثيرة على البعث. مستدلاً بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة، ومبيناً أن اللّه قادر على كل شيء، وعالم بكل شيء فلا تعجزه إعادة الأجسام لنفوذ قدرته، ولا يضيع منها شيء لسعة علمه.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾[٢].

والإنسان وتطوره في الخلق، وتحوله من حال إلى حال، والأرض وما تخرجه من نبات، مظهر للعلم والقدرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ[٣] ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ[٤] ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ[٥] وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ[٦]

---

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٦٠ ـ ٦٤.

(٢) سورة يس، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

(٣) تراب: العناصر التي يتركب منها جسم الإنسان هي نفس العناصر التي تركب منها تربة الأرض. وتتحول هذه العناصر من تربة الأرض إلى جسم الإنسان بواسطة الطعام الذي يتناوله مما خرج من الأرض.

(٤) العلقة: هي الدم المتجمد الغليظ.

(٥) المضغة: هي قطعة لحم بقدر ما يمضغ.

(٦) مخلقة وغير مخلقة: أي منتظمة الشكل وغير منتظمة.

﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ (١).

وإذا كان اللّه لم يعيَ بخلق السموات والأرض، ولا يزال يخلق، ويرزق ويحيي، ويميت، فهل يستبعد بعد هذا المشاهد المنظور أن يعيد الخلق مرة أخرى!

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥﴾ (٢).

إن إنكار البعث وإعادة الحياة مرة أخرى بعد هذه الدلائل البينة في الأنفس والآفاق لا معنى له.

□ شبهة منكري البعث:

لقد استبعد طوائف من الناس هذه الحقيقة، زاعمين أنها مخالفة لما عهدوه من السنن المألوفة، ومستبعدين ذلك، ومستعظمين أمره، لأن عقولهم لا تكاد تصدق إعادة الحياة إلى الأجسام بعد تفرقها، وتحللها، وبعد أن يتداخل بعضها في بعض، فإن الإنسان بعد أن يموت يتحول جسمه إلى تراب، ثم يتحول التراب إلى نبات فيتغذى إنسان آخر بذلك النبات، ثم يموت.

---

(١) سورة الحج، الآيات: ٥ ـ ٧.

(٢) أفعيينا: أي عجزنا. سورة ق، آية: ١٥.

هكذا الإنسان يتحول كغيره، وهكذا تتداخل الأجسام بعضها في بعض، فكيف يبعث الناس بعد هذا التداخل؟[1].

وهذه الشبهة قديمة، ولا تزال تتردد في صدر الكثيرين، والقرآن ذكر هذه الشبهة وعالجها، فقال:

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾[2].

فهؤلاء الذين استنكروا البعث، ردَّ اللّٰه عليهم بأن استبعادهم لا معنى له! لأنهم يجهلون عظمة اللّٰه، وقدرته، وعلمه وحكمته، وأنهم لا يبصرون في أنفسهم فهم أنفسهم أدلّ الدلائل، وأقوى الحجج على نفي ما ينكرونه من البعث، فاللّٰه أحياهم أولاً وأماتهم ثانياً، ولا تزال القدرة صالحة لإحيائهم مرة، وجمعهم مرة أخرى يوم القيامة، فأي استبعاد في هذا؟!

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾[3].

---

(١) يجيب علماء العقائد عن هذه الشبهة بأن للإنسان أجزاء أصلية وأجزاء عرضية، والأجزاء الأصلية تبقى كما هي، والعرضية هي التي تتحول.

(٢) سورة الجاثية، الآيات: ٢٤ ـ ٢٦.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٧.

□ **اختلاف الناس عند البعث:**

والناس يختلفون عند البعث اختلافاً كبيراً حسب أعمالهم، فالذين صلحت عقائدهم وأعمالهم، وزكت نفوسهم، يكونون أكمل أجساداً وأرواحاً، والذين خبثت أعمالهم، وفسدت عقائدهم يكونون أنقص أجساداً وأرواحاً.

فعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أن الرسول ﷺ قال:

«يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف، صنف مشاة، وصنف ركبان، وصنف على وجوههم، قيل: يا رسول اللَّه كيف يمشون على وجوههم؟ قال: إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم. أما إنهم يتقون بوجوههم كل حَدَب وشكوك»[1].

وفي الحديث يقول الرسول الكريم ﷺ:

«يحشر المتكبرون والمتجبرون يوم القيامة في صور الذَّرِّ تطؤهم الناس؛ لهوانهم على اللَّه عزّ وجل».

وروى مسلم عن جابر قال: سمعت رسول اللَّه يقول: **«يبعث كل عبد على ما مات عليه»**. أي إن من مات على خير بعث على حال سارّة، ومن مات على شر بعث على حال شنيعة.

ومع كون البعث بالأجساد والأرواح إلا أن القوى الروحية تكون هي القادرة على التصرف في الأجساد فتستطيع قطع المسافات البعيدة

(١) حدب: الحدب ما ارتفع من الأرض. رواه الترمذي.

في أقصر مدة، والتخاطب بالكلام بين أهل الجنة والنار، ويكون مثلهم في ذلك مثل الملائكة والجن في قدرتها على التشكل وظهورها في أجساد تأخذها من مادة الكون، وقد ثبت ذلك ثبوتاً علمياً، كما تقدم في بحث مسألة الروح.

□ الشفاعة:

المقصود بالشفاعة: سؤال اللّه الخير للناس في الآخرة، فهي نوع من أنواع الدعاء المستجاب.

ومنها الشفاعة العظمى، ولا تكون إلا لسيدنا محمد رسول اللّه، صلوات اللّه وسلامه عليه، فإنه يسأل اللّه سبحانه أن يقضي بين الخلق؛ ليستريحوا من هول الموقف، فيستجيب اللّه له، فيغبطه الأولون والآخرون، ويظهر بذلك فضله على العالمين، وهذا هو المقام المحمود الذي وُعِدَ به في قول اللّه سبحانه:

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾[1].

وعن ابن عمر رضي اللّه عنهما، أن النبيﷺ قال:

«إن الشمس تدنو يوم القيامة، حتى يبلغ العَرَقُ نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم، فيقول: لست بصاحب ذلك، ثم بموسى، فيقول كذلك، ثم بمحمدﷺ ، فيشفع؛ ليقضي بين الخلق،

(١) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

فيمشي، حتى يأخذ بحَلْقَةِ باب الجنة، فيومئذٍ يبعثه اللّه مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم»[1].

وعن أبيّ بن كعب أن النبي ﷺ قال:

«إذا كان يوم القيامة كنتُ إمام الأنبياء، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم من غير فخر»[2].

وما عدا هذه الشفاعة من الشفاعات[3] فهي مشروطة:

بأن تكون بإذن اللّه:

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[4].

وأن تكون لمن ارتضى اللّه أن يشفع له:

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[5].

ولا يرتضي اللّه الشفاعة إلا من يستحقون العفو على مقتضى العدل الإلهي، وتكون الشفاعة لإظهار كرامة الشافع ومنزلته عند ربه تنفيذاً للإرادة الإلهية عقب دعائه وطلبه من اللّه، وليس فيها ما يدعو إلى الغرور أو التهاون في ترك ما كلف اللّه به من إيمان تزكو به النفس، وعمل صالح يصل بالإنسان إلى كماله المنشود.

---

(١) رواه أبو داود والحاكم.
(٢) رواه أبو داود.
(٣) ستأتي شفاعة الرسول ﷺ في إخراج عصاة المؤمنين من النار.
(٤) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.
(٥) سورة الأنبياء، آية: ٢٨.

وكان الوثنيون يعتمدون على أوثانهم، ويعتقدون أنها ستشفع لهم عند اللَّه.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ (1).

فأيأسهم اللَّه من الاعتماد على هؤلاء الشفعاء:

﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ (2).

وقد اعتاد كثير من الناس الاعتماد على شفاعة الصلحاء، واستساغوا كل لون من ألوان الانحراف، والخروج عن طاعة اللَّه، ارتكاناً على هذه العقيدة، فقطع اللَّه حجتهم، وأنزل قوله:

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ﴾ (3).

---

(1) سورة يونس، آية: ١٨.

(2) سورة المدثر، الآيات: ٣٨ ـ ٤٨.

(3) سورة النساء، الآيات: ١٢٣ ـ ١٢٥.

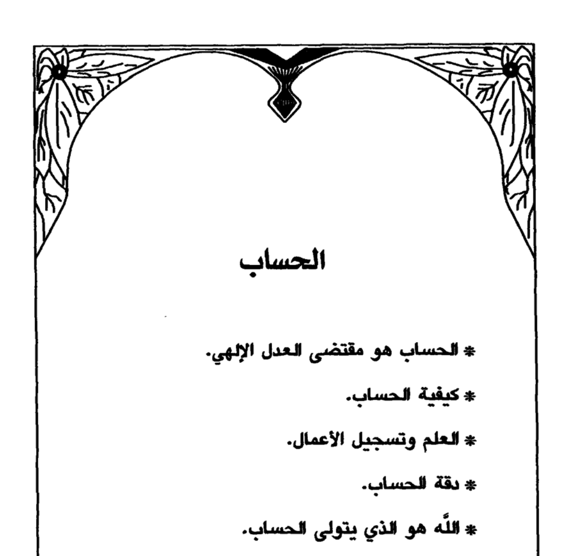
إن الدين الحق هو إسلام الوجه للَّه، وإحسان العمل، وإن روح الإسلام هي وصاية رسول اللَّه ﷺ لابنته فاطمة رضي اللَّه عنها:

«اعملي يا فاطمة فإني لا أُغني عنكِ منَ اللَّه شيئاً».

واللَّه يتنزّه عن محاباة أحد من خلقه وهذه سنته في الأولين والآخرين:

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [1].

(١) سورة النجم، الآيات: ٣٦ ـ ٤١.



الحساب

* الحساب هو مقتضى العدل الإلهي.
* كيفية الحساب.
* العلم وتسجيل الأعمال.
* دقة الحساب.
* اللَّه هو الذي يتولى الحساب.
* رحمة المؤمن في الحساب.
* الحوض.
* الصراط.

□ الحساب هو مقتضى العدل الإلهي:

إن اللَّه سبحانه متصف بصفات الكمال، ومن صفاته الكمالية، العدل، والحكمة، فهو عدل لا يظلم أحداً من خلقه، وحكيم لا يضع الشيء في غير موضعه.

ومن عدله وحكمته ألا يسوِّي بين البر والفاجر، ولا بين المؤمن والكافر، ولا بين المحسن والمسيء؛ فإن التسوية بينهما منتهى الظلم والسفه.

واللَّه سبحانه قد أرسل رسله بالبينات، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، فاهتدى فريق إلى اللَّه وانحرف فريق عن هدايته، فلم تكن له العقيدة الحقة، ولا العبادة الصحيحة، ولا العمل الصالح.

والذين اهتدوا كلفتهم الهداية جهاداً شاقاً، وتضحيات مريرة، ومغالبة للهوى، ومحاربة للباطل، ومكافحة للشرور والآثام. وطال جهادهم، ودام كفاحهم حتى اللحظات الأخيرة من حياتهم.

فهل يستوي هؤلاء الأبرار مع التافهين الفارغين الفسقة، الذين استحبوا العمى على الهدى، وآثروا الغَيَّ على الرشاد، وتعجلوا حظوظهم الدنيئة، وشهواتهم الخسيسة، وظلوا سادرين في غيِّهم لا يصدّهم عنه صاد، ولا يأخذ بحجزاتهم أحد.

لقد قضى كل من الفريقين حياته، هذا يجاهد في سبيل اللّه ليعلي كلمته، وليرفع راية الحق، وليطهر الأرض من الشر والفساد؛ وذاك يجاهد من أجل شهواته وغرائزه الدنيا، سائراً في ركب الشيطان، مؤتمراً بأمر نفسه الأمّارة بالسوء، فهل من العدل والحكمة أن يكون مصير هؤلاء جميعاً واحداً، إن ذلك لا يجوز في العقل السليم، بل اللّه أعدل العادلين، وأحكم الحاكمين.

إن الحكم بالتسوية بين الفريقين حكم جائر:

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1].

إن التسوية بين مصير الصالحين وغيرهم تفكير السطحيين الذين يحسبون الحياة لهواً ولعباً.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾[2].

---

(1) سورة الجاثية، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(2) سورة ص، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

إن الناس لا يعلمون هذه الحقيقة، وقلما يتذكرونها.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾[1].

إنه لا بد من يوم تتكشف فيه الحقائق، وتظهر فيه مكنونات الضمائر.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾[2].

وكان المشركون يمارون في الساعة أشد المراء، ويُكذِّبون بها كأعظم ما يكون التكذيب، ويحلفون بالأيمان المغلظة أن ذلك لن يكون، فذكر الله تكذيبهم، ورد عليهم، بأن ذلك مقتضى حكمته؛ حتى يتميز الحق من الباطل ويتبين الصادق من الكاذب.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾[3].

---

(١) سورة غافر، الآيات: ٥٧ ـ ٥٩.
(٢) سورة النجم، آية: ٣١.
(٣) سورة النحل، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

□ كيفية الحساب:

بعد أن يرد اللَّه الحياة إلى الناس من جديد يحشرهم إليه، ويجمعهم لديه ليحاسب كل فرد منهم على ما عمل من خير أو شر، فتشهد الأرض بما حدث عليها.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا[1] ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا[2] ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ[3] ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾[4].

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: «قرأ رسول اللَّه ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾.

فقال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: فإن أخبارهم أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها: أن تقول: عمل كذا، وكذا، يوم كذا وكذا. قال: فهذه أخبارها»[5].

وكما تتحدث الأرض عن أخبارها تشهد الألسنة، والأيدي، والأرجل، والجلود وبهذا تتم حجة اللَّه على العالم.

---

(١) الزلزلة: هي الاضطراب الشديد.

(٢) أثقالها: الجثث المدفونة فيها.

(٣) يصدر الناس أشتاتاً: يبعثون أفراداً متفرقين من الهول ليروا أعمالهم.

(٤) مثقال: قدر. سورة الزلزلة، الآيات: ١ ـ ٨.

(٥) رواه أحمد والبغوي والترمذي وصححه.

﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ (١).

﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (٢).

﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ (٣).

وعن أبن عباس رضي الله عنهما قال:

«قام فينا رسول اللهﷺ بموعظة فقال: يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاةً عُراةً غُرْلاً»(٤).

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة فصلت، الآيات: ١٩ ـ ٢٣.

(٣) سورة المجادلة، الآيتان: ٦، ٧.

(٤) أي أن حشر الناس إلى الله يوم القيامة وهم حفاة عراة غير مختونين كما كان خلقهم من بطون أمهاتهم.

﴿أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

«ألا إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم، ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح:

﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ (1).

قال: فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول: سحقاً سحقاً» (2).

وعن أبي برزة الأسلمي رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: **«لا تزول قدما عبد حتى يسأل: عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيم فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه»** (3).

□ كيفية إحصاء الأعمال وعرضها:

وإحصاء الأعمال وتسجيلها يكون بواسطة الملائكة الموكلين بها كما تقدم في بحث الملائكة.

---

(1) العبد الصالح هو سيدنا عيسى عليه السلام، المائدة، الآيتان: ١١٧ و١١٨.

(2) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

(3) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[(١)].

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[(٢)].

فإذا كان يوم الحساب جيء بالكتب التي دونت فيها الأعمال لتعرض على أصحابها.

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[(٣)].

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾[(٤)].

وهذه الكتب التي توزع على أصحابها، منهم من يأخذ كتابه بيمينه ويكون بشرى من البشريات السارة، ومنهم من يأخذ بشماله أو من وراء ظهره. ويكون ذلك علامة على سوء الحساب.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا

---

(١) سورة الانفطار، الآيات: ١٠ ـ ١٢.

(٢) سورة ق، آية: ١٨.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٤) سورة الكهف، آية: ٤٩.

﴿ ٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا
١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ
بِهِۦ بَصِيرًا ١٥ ﴾[١].

□ العلم وتسجيل الأعمال:

وتسجيل الأعمال من الأمور التي قد ثبتت ثبوتاً علمياً فما من صوت من الأصوات ولا عمل من الأعمال، ولا حركة من الحركات، إلا وهي مسجلة في سجل الكون، ومدونة في كتاب الوجود، فليس منها شيء ضائع، ولا يمكن لشيء منها أن يزول، وصدق اللّه العظيم إذ يقول:

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٥٩ ﴾[٢].

□ دقة الحساب:

وتبلغ الدقة في الحساب منتهى ما يمكن أن يتصور، حتى يأخذ كل واحد جزاء ما عمل من خير أو شر. سواء أكان ذلك عملاً مارسه

---

(١) سورة الانشقاق، الآيات: ٦ ـ ١٥. كادح ـ ساع إلى لقاء ربك بالموت فملاقي جزاء كدحك، أي عملك ـ ثبوراً: هلاكاً ليستريح ـ يصلى سعيراً: يدخل ناراً مستعرة ـ مسروراً: أي غارقاً في سروره بالشهوات حتى نسي ما كلفه به اللّه ـ لن يحور، لن يرجع إلى الحساب يوم القيامة.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٥٩.

بالفعل، أو عملاً نواه، وأصرّ عليه، فتقام لذلك موازين القسط، حتى يتحقق العدل الإلهي على أكمل صورة.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[١].

ثم تكون عاقبة كل حسب رجحان الميزان بالعمل الصالح، أو نقصانه.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[٢].

□ اللَّه هو الذي يتولى الحساب:

واللَّه سبحانه هو الذي يحاسب الناس جميعاً بنفسه بدون واسطة.

عن عدي بن حاتم أن النبي ﷺ قال:

«ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربُّه يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدّم من عمله، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[٣].

وقد حدث الإمام عليّ كرّم اللَّه وجهه بهذا الحديث، فقال له أحد

(١) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣.

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

الرجال: يا أمير المؤمنين كيف يحاسب اللَّه الناس كلهم في وقت واحد؟ فقال: كما يرزقهم في آن واحد يسألهم في آن واحد.

□ رحمة اللَّه بالمؤمن عند الحساب:

والمؤمن لا يناقش الحساب رحمة به وشفقة عليه لأن من نوقش الحساب عذب قيل لابن عمر: كيف سمعت رسول اللَّه يقول في النجوى[١]؟ قال: سمعته يقول:

«يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كتفه عليه[٢]، فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرره[٣]، ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم. ألا لعنة اللَّه على الظالمين»[٤].

عن عائشة أن النبي ﷺ قال:

«ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت: يا رسول اللَّه أليس قد قال اللَّه تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾.

فقال: إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب».

---

(١) المراد بها هنا مناجاة اللَّه لعبده المؤمن في الآخرة.

(٢) ستره.

(٣) أي يقرره بذنوبه.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

□ الحوض:

إن لكل نبي حوضاً يشرب هو وأمته منه بعد الموقف، وقبل دخول الجنة. ولنبينا حوض كذلك، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

فعن سهل بن سعد أن رسول اللّه ﷺ قال:

«أنا فرطُكم على الحوض، من مرّ عليّ شرب، ومن شرب لا يظمأ أبداً، ليردَنَّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم، فأقول إنهم مني[(١)] فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُحْقاً سُحْقاً لمن غيَّر بعدي»[(٢)].

□ الصراط:

روى مسلم والترمذي: أن عائشة تلت هذه الآية «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات».. الخ قالت: يا رسول اللّه أين يكون الناس؟ قال على الصراط».

وهو طريق يوضع على ظهر جهنم، يمرّ عليه الأولون والآخرون بعد انصرافهم من الموقف، فأهل الجنة يمرون عليه، وهم متجهون إليها، وأهل النار يسقطون فيها.

---

(١) أي من أمتي.

(٢) أي بعداً لمن ارتد عن دينه. والحديث رواه البخاري ومسلم.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ (١).

وفي حديث الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال:

«يضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوة الرسل يومئذ: اللهم سلم. وفي جهنم كلاليب مثل شوك السَّعْدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله عزّ وجل تخطف الناس بأعمالهم».

---

(١) سورة مريم، آية: ٧١.

الجنة والنار

* النار.
* أهوال الجحيم.
* نسبة نار الدنيا إلى الآخرة.
* أهون الناس عذاباً.
* المؤمن لا يخلد في النار.
* الشفاعة للعصاة.
* التخاطب بين أهل الجنة وأهل النار.
* آخر من يدخل الجنة وآخر من يخرج من النار.
* الجنة.
* أهلها.
* نعيمها.
* أعلى نعيم الجنة.
* الخلود.

إذا كان اللّه سبحانه يكافىء الأبرار بالنعيم، فإنه يجازي الفجار بالجحيم، عقاباً لهم على ما اقترفوا من كبائر الإثم والفواحش.

والجحيم هذه هي دار العذاب: وتُسمى الهاوية:

والهاوية: هي المكان المنخفض كثيراً الذي لا يرجع من يسقط فيه:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ (١).

وتسمى السعير:

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ (٢).

وتسمى لظى:

﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ (٣).

---

(١) سورة القارعة، الآيات: ٨ ـ ١١.

(٢) سورة الملك، آية: ٥.

(٣) سورة المعارج، آية: ١٥، ١٨.

أي أنها شديدة نزع جلدة الرأس، وتجذب إليها من أعطى ظهره للحق ، وتولي منصرفاً عن الطاعة، وجمع المال، ووضعه في وعاء؛ لشدة حرصه عليه، وافتتانه بالدنيا.

وتسمى سقر:

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾[1].

أي أنها لا تبقي على شيء ما يطرح فيها بل تحرقه، ولا تتركه يخرج منها، وأنها تُسَوِّدُ الجسم وتشوهه.

وتسمى الحطمة:

﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ[2] ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ[3] ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ[4] ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾[5].

□ أهوال الجحيم:

وقد وصف الله الجحيم وصفاً تشيب منه النواصي، وتنخلع منه القلوب، كي يرتدع الغاوون عن غيهم، فذكر أن وقودها الناس والحجارة.

---

(١) سورة المدثر، الآيات: ٢٦ ـ ٣٠.
(٢) الحطمة: كثير التحطيم والتكسير لما يلقى فيها.
(٣) الموقدة الملتهبة التهاباً شديداً.
(٤) موصدة، أي مغلقة.
(٥) في عمدٍ ممدَّدة: أي مغلقة بعمد طويلة فلا يخرج منها من يدخل فيها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ (١).

وأنها لا تشبع مما يلقى فيها، بل تطلب المزيد دائماً، حتى لا يبقى فيها مكان خالٍ.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ (٢).

قال مجاهد: ليس هناك قول، وإنما جرى الكلام على سبيل تمثيل حال جهنم بأنها امتلأت حتى لم يبق فيها مكان خالٍ.

وأن طعامهم الزقوم: وهي شجرة من أخبث أنواع الشجر المر المنتن الرائحة:

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ (٣) ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ (٤).

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ (٥).

وثيابهم من نار!

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) سورة ق، آية: ٣٠.

(٣) أي محنة للظالمين بإرغامهم على الأكل منها.

(٤) سورة الصافات، الآيات: ٦٠ ـ ٦٧.

(٥) سورة الكهف، آية: ٢٩.

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ (١).

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إن الجحيم ليصبُّ على رؤوسهم، فينفذ الحميم، حتى يخلُص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه، حتى يمرق من قدميه، وهو الصَّهر ثم يعاد كما كان**» (٢).

وجهنم تحيط بالمعذبين من كل جانب، فهي فراش وغطاء:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ (٣).

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ (٤).

وأهل جهنم لا يموتون، فيستريحون، ولا يحيون الحياة الهنيئة!

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ (٥).

---

(١) سورة الحج، الآيات: ١٩ ـ ٢٢.
(٢) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.
(٣) سورة الأعراف، آية: ٤٠.
(٤) سورة الزمر، آية: ١٦.
(٥) سورة الأعلى الآيات: ١١، ١٢، ١٣.

وأهل النار محجوبون عن اللَّه:

﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ وهـذا هـو أشـد أنـواع العذاب.

وفي الآية الكريمة يقول اللَّه تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦﴾ [١].

ففي هذه الآية ـ أن النار كلما أكلت جلودهم بدلهم اللَّه جلوداً غيرها، والسبب في ذلك أن أعصاب الألم هي الطبقة الجلدية، أما الأنسجة والعضلات والأعضاء الداخلية، فالإحساس فيها ضعيف، ولذلك يعلم الطبيب أن الحرق البسيط الذي لا يتجاوز الجلد يحدث ألماً شديداً، بخلاف الحرق الشديد الذي يتجاوز الجلد إلى الأنسجة، لأنه مع شدته وخطره لا يحدث ألماً كثيراً.

فاللَّه تعالى يقول لنا: إن النار كلما أكلت الجلد الذي فيه الأعصاب يجدده كي يستمر الألم بلا انقطاع؛ ويذوقوا العذاب الأليم، وهنا تظهر حكمة اللَّه قبل أن يعرفها الإنسان «وكان اللَّه عزيزاً حكيماً» [٢].

ومن شدة الهول، وقسوة العذاب يود المجرم أن يفدي نفسه بكل حبيب لديه وعزيز عليه، ولكن لا ينفع فداء، ولا يقبل رجاء.

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٦.

(٢) انظر كتاب «الطب والإسلام» للدكتور عبد العزيز اسماعيل.

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ﴾[1].

□ نسبة نار الدنيا إلى نار الآخرة:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبيﷺ قال: «**ناركم هذه التي توقدُونَ جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم، قالوا: واللَّه إن كانت لكافية يا رسول اللَّه. قال: فإنها فضلت[2] بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرّها**»[3].

□ أهون الناس عذاباً:

عن النعمان بن بشير رضي اللَّه عنه: أن النبيﷺ قال: «**أهون الناس عذاباً من له نعلان، وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجَلُ، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً**»[4].

□المؤمن لا يخلَّد في النار:

جاء في السُّنة الصحيحة أن المؤمن لا يخلّد في النار.

فإن كان قد ارتكب بعض الكبائر ولم تُكَفَّر بحد، أو توبة نصوح،

---

(١) سورة المعارج، الآيات: ١١ ـ ١٥.
(٢) فضلت: زادت.
(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي.
(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

أو مصيبة أو مرض، أو شيء من المكفرات، فهو محاسب على عمله، واللَّه يوازن بين أعماله الصالحة وبين جميع معاصيه التي لم يتب منها، فإن رجحت حسناته فهو في الجنة، وكذلك إذا تساوت حسناته وسيئاته:

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (١).

وإن رجحت سيئاته فإنه يدخل النار، فيعذب فيها بقدر ما ارتكب من إثم، ثم يخرج منها بعد أن يتطهّر، وبعد أن يوفيه اللَّه جزاءه بمقتضى عدله وحكمته.

فعن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول اللَّه تعالى: «أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان. فيخجرون منها قد اسودُّوا، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل (٢) ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية**»» (٣).

وعن أنس رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺقال: «**يخرج من النار، من قال: لا إله إلا اللَّه، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار، من قال: لا إله إلا اللَّه وفي قلبه وزن بُرَّة من خير، ويخرج من النار، من قال: لا إله إلا اللَّه، وفي قلبه وزن ذرّة من خير**» (٤).

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

(٢) أي أنهم يخرجون بعدما يغمسون في نهر الحياة وأجسامهم نضرة فرحين بعودة الحياة.

(٣) رواه البخاري ومسلم والنسائي.

(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

□ **الشفاعة للعاصي:**

ثم يشفع الرسول بعد أن يأذن اللَّه له، وبعد انتهاء، مدة العذاب في خروج العاصي من النار، فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن النبي ﷺ، يشفع لأهل الكبائر بعد دخولهم النار، فيقبل اللَّه شفاعته فيهم، ويخرجهم منها. وتكون الشفاعة إظهاراً لكرامة الشافع عند اللَّه، وإظهار فضله، فعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها. وأريد أن أخبِّىء دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة». رواه البخاري ومسلم وزاد مسلم **«فهي نائلة إن شاء اللَّه تعالى من مات من أمتي لا يشرك باللَّه شيئاً»**.

وعن عمران بن حصين رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: **«يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين»**[1].

□ **التخاطب بين أهل الجنة وأهل النار:**

وبعد أن يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار يدور بينهم حوار ومناقشة، فيذكر كل واحد ما كان منه من عمل في الدنيا، وما ناله من جزاء في الآخرة.

ولا يُقال كيف يتم التخاطب بين الفريقين مع البعد بين الجنة والنار، ومع التفاوت الكبير بينهما، فإن ذلك شأن من شؤون الآخرة التي

---

(١) رواه البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجة وسُمُّوا بهذا الاسم ليذكروا ما كانوا فيه من عذاب، وما أدركوه من نعيم فيزدادوا فرحاً وسروراً.

لا اطلاع لنا عليها، ولا علم لنا بها، واللّٰه سبحانه سيطوِّر خلق الإنسان ويجعله على صورة أخرى غير الصورة المعهودة، ويعطيه حواس أخرى أقوى من حواسه التي أعطاها إياه في الدنيا وقد استُحدِث أخيراً ما يقرِّب هذا من أمثال أجهزة التلفزيون، فالناس مع بعد بعضهم عن بعضهم يتمكنون بواسطتها من المشاهدة والسماع.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾[1].

وفي القرآن الكريم إخبار عما يدور بين أهل الجنة والنار من خِطاب مع وجود سور فاصل بينهما، فهو من جهة أهل الجنة فيه الرحمة، ومن جهة أهل النار فيه العذاب. فنؤمن بذلك ونكل علم حقيقته إلى علاَّم الغُيوب.

يقول اللّٰه تعالى:

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ

(١) سورة الواقعة، الآيتان: ٦٠ و٦١.

مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾[1].

وفي مشهد آخر يعرض القرآن لوناً من ألوان الخطاب بين أهل الجنة وأهل النار.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّاۖ قَالُواْ نَعَمْۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾[2].

ثم بعد ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾[3].

□ آخر من يدخل الجنة، آخر من يخرج من النار:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة ويكبو مرة، وتسفعه[4] النار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الله الذي نجاني منك، لقد

---

(١) سورة الحديد، الآيات: ١٢ ـ ١٥.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٤٤، ٤٥.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٥٠، ٥١.

(٤) تسفعه النار: أي تلفحه لفحاً يغير بشرته.

أعطاني اللّه تعالى شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة فيقول: يا رب أُدنني من هذه الشجرة لأستظل بها وأشرب من مائها. فيقول اللّه: يا بن آدم لعلي إن أعطيتك إياها تسألني غيرها؟ فيقول: يا رب لا أسألك غيرها. ويعاهده ألا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: يا رب أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها، ولا أسألك غيرها، فيقول يا بن آدم ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها؟ لعلي إن أعطيتك منها تسألني غيرها. فيعاهده ألا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين. فيقول: يا رب أدنني من هذه لأستظل بظلها، وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها. فيقول: يا بن آدم ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها؟ قال: بلى يا رب لا أسألك غيرها. وربه يعذره، لأنه رأى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها.

فإذا أدنى منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي يا رب أدخلني الجنة، فيقول: يا بن آدم ما يُصرّيني[1] منك، أيرضيك إن أعطيتك قدْرَ ومثْلَهَا معها؟ فيقول: يا رب أتستهزىء بي، وأنت رب العالمين، فضحك ابن مسعود فقال ألا تسألوني مِمَّ ضحكت؟ فقيل مم تضحك؟ فقال: هكذا ضحك رسول اللّهﷺ فقيل: مِمَّ تضحَك؟ فقال: مِنَ ضَحِكَ رب العالمين حين قال: أتستهزىء بي وأنت رب

(١) ما يصريني منك: أي ما الذي يرضيك ويقطع مسألتك.

العالمين، فيقول: إني لا أستهزىء بك، ولكني على ما أشاء قادر». أخرجه مسلم.

□ الجنة:

الجنة في الأصل: البستان من النخل أو الشجر.

وهي مأخوذة من جنّ إذا ستر، وسميت بذلك لأن نخيلها الباسقات وأشجارها المورقة تلتف أغصانها بعضها ببعض، فتكون كالظلة تستر ما تحتها.

والمقصود بالجنة هنا الدار التي أعدَّها اللَّه للمتقين جزاء لهم على إيمانهم الصادق وعملهم الصالح.

وقد أطلق عليه القرآن عدة أسماء، فهي: جنة المأوى، وجنة عدن (إقامة وخلود)، ودار الخلود، والفردوس، ودار السلام، ودار المقامة، وجنات النعيم والمقام الأمين.

وجاء في القرآن الكريم أن عرضها السموات والأرض.

وقد روى أن النبي ﷺ، سئل عن مكان النار إذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض؟ فأجاب ﷺ: **«سبحان اللَّه، فأين الليل إذا جاء النهار»**؟.

□ أهلها:

والجنة لا يدخلها إلا من قام بجلائل الأعمال، واتصف بكرائم الصفات.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ
ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى
ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ
ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ
ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ (١).

□ نعيمها:

وصف اللّه الجنة بأن نعيمها دائم، وسرورها لا ينفد، وكل ما فيها بغير حساب. فأنهارها كثيرة ثرّة: ففيها أنهار من ماء غير آسن (٢)، وأنها من لَبَن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفًّى. وهذه الأنهار تجري من تحت القصور، وفيها الفواكه، ولحوم الطير. وكلما رُزق أهلها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رُزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً يماثل بعضه بعضاً في الحسن والجودة.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (٣).

وإن الرزق الذي يقدم لهم من الطعام والشراب يطوف به خدم

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ١١١، ١١٢.

(٢) آسن: متغير الطعم والرائحة.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥.

من الولدان، إذا رأيتهم حسبتهم لفرط جمالهم لؤلؤاً منثوراً، وهؤلاء الولدان يحملون صحافاً وأواني من ذهب وأكواب، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين.

ولباسهم فيها حرير من سندس واستبرق. وحليتهم الذهب. ومساكنهم طيبة. وهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار.

وأصحاب الجنة هم وأزواجهم في ظلال على الآرائك يتكئون، وهؤلاء الزوجات ينشئهن اللَّه إنشاء عرباً أتراباً، كما ينشيء معهم الحور العين، كأنهن بيض مكنون، وهن مطهرات من عيوب نساء الدنيا، فلا حيض، ولا نفاس، ولا دمامة خَلْق، ولا سوء خُلُق.

وأهل الجنة نزع اللَّه من صدورهم الغِلّ إخواناً على سرر متقابلين، لا يمسهم فيها نصب، وما هم منها بمخرجين.

والجنة لا يسمع فيها اللغو، ولا التأثيم، وإنما يسمع فيها تقديس اللَّه، وإجلاله. وسلام اللَّه على المؤمنين، وسلام بعضهم على بعض.

﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآبِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ (١).

وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم والترمذي، أن النبي ﷺ، قال: **«إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درِّيّ في السما إضاءة، لا**

---

(١) سورة الرعد، الآيتان: ٢٣ و٢٤.

يبولون ولا يتغوطون، ولا يتفلون ولا يتمخطون. أمشاطهم الذهب ورشحهم[(١)] المسك، ومجامرهم[(٢)] الألُوَّة[(٣)] أزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعاً في السماء».

وعن أسامة بن زيد قال: قال رسول اللَّه ﷺ ذات يوم لأصحابه: **«ألا مشمِّرٍ للجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام أبداً، في حبرة[(٤)] ونضرة[(٥)]، في دور عالية سليمة بهية». قالوا: نحن المشمرون لها يا رسول اللَّه. قال: قولوا: إن شاء اللَّه، ثم ذكر الجهاد وحض عليه»**[(٦)].

□ نعيم الجنة فوق ما يتصوره العقل:

وهذا النعيم المذكور جاء على مثال ما هو معروف في هذا العالم الأرضي، وإن كان أرقى منه نوعاً وشكلاً وطعماً، وحقيقته فوق ما يتصوره البشر.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي اللَّه عنهما: أن النبي ﷺ قال:

---

(١) الرشح: العرق.
(٢) المجامر: مواضع البخور.
(٣) الألوة: العود.
(٤) الحبرة: النعمة وسعة العيش.
(٥) نضرة البهجة والحسن.
(٦) رواه ابن ماجة.

«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. اقرأوا إن شئتم:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[1].

فنعيم الآخرة لا يشبهه شيء من نعيم الدنيا.

فهو وإن شابهه في الاسم فهو مختلف عنه في الصفة.

قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما في تفسير قول اللَّه سبحانه:

﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾[2].

لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا إلا في الأسماء.

□ أعلى نعيم الجنة:

وأعلى نعيم أهل الجنة هو رؤية اللَّه عزّ وجل، ومناجاته، والفوز برضاه.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[3].

﴿إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾[4].

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٧. وقرة العين كناية عن السرور.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥.

(٣) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٤) سورة يس، الآيات: ٥٥ ـ ٥٨.

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1].

﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾[2].

وعن صهيب رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول اللَّه تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ يقولون: ألم تُبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟ ألم تنجنا من النار؟ قال: فيكشف[3] الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم. ثم تلا «للذين أحسنوا الحسنى[4]»، وزيادة»**.

عن جرير بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال: «نظر رسول اللَّه ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر، لا تضامون[5] في رؤيته. فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس. وقبل غروبها، فافعلوا، ثم قرأ: وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها».

وأما رؤية اللَّه في الدنيا، فلم تقع لأحد قط. وقد سأل موسى عليه السلام ربه قال:

﴿رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥.

(٣) فيكشف الحجاب عن أهل الجنة.

(٤) الحسنى: الجنة. والزيادة: هي الرؤية. والحديث رواه مسلم وغيره.

(٥) تضامون: تشكون. رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾[1].

وذهب ابن عباس رضي اللَّه عنهما ـ وكثير من أهل العلم إلى أن سيدنا محمداًﷺ رأى ربه ليلة أُسْري به.

قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما ـ في قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[2].

قال: (هي رؤيا عين أريها رسول اللَّهﷺ أسْرِي به) رواه البخاري.

وكان الحسن يحلف أن رسول اللَّهﷺ رأى ربه وأنكرت السيدة عائشة رضي اللَّه عنها، أن رسول اللَّهﷺ رأى ربه.

فعن مسروق قال: قلت لعائشة رضي اللَّه عنها: (يا أمتاه، هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قَفَّ[3] شعري مما قلت. أين أنت من ثلاث: من حدَّثكهُنَّ فقد كذب: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت:

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴿١٠٣﴾﴾[4].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٤٣.
(٢) سورة الإسراء، آية: ٦٠.
(٣) قف: أي قام شعر رأسي وشعر بدني من الفزع.
(٤) سورة الأنعام، آية: ١٠٣.

ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[1].

ومن حدثك أنه كتم شيئاً من الوحي فقد كذب، ثم قرأت:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[2].

ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين»[3].

□ الخلود:

والجنة خالدة لا تفنى، وكذلك النار، وأهل كل منهما مخلدون، لا يدركهم الموت ولا يلحقهم الفناء.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾[4].

وسر خلود أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار أن كلا من الفريقين كان مصراً على ما هو عليه، فأهل الجنة كانوا مريدين الإيمان والطاعة مهما طالت بهم الحياة، وامتد بهم العمر، وأهل النار كانوا مصرين على الكفر والعصيان، ولو عاشوا ملايين السنين، فكان الجزاء

---

(١) سورة لقمان، آية: ٣٤.

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٦.

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(٤) سورة هود، الآيات: ١٠٦ ـ ١٠٨.

للفريقين على الإرادة والنية وبمقتضى هذه الإرادة والتصميم كان الخلود إذ أن الإيمان والكفر وما يستتبعانه من أعمال قد تمكن من النفس تمكناً لا يزول.

ولقد صوّر القرآن هذا التمكن فذكر أن الكفار لو رجعوا إلى الدنيا بعد معاينتهم العذاب لعادوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وسوء العمل:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾[1].

والأصل في كون الجزاء على الإرادة والنية قول الرسول صلوات اللّه وسلامه عليه: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى**».

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

خاتمة(*)

وبعد... فإن سلوك الإنسان وتصرفاته في الحياة مظهر من مظاهر عقيدته.

فإذا صلحت العقيدة صلح السلوك واستقام، وإذا فسدت فسد واعوج، ومن ثم كانت عقيدة التوحيد والإيمان ضرورة لا يستغني عنها الإنسان ليستكمل شخصيته ويحقق إنسانيته.

ولقد كانت الدعوة إلى هذا العقيدة أول شيء قام به رسول اللَّه صلوات اللَّه وسلامه عليه؛ لتكون حجر الزاوية في بناء الأمة المسلمة. كما كانت أول شيء قام به رسل اللَّه جميعاً، ذلك أن رسوخ هذه العقيدة في النفس الانسانية يسمو بها عن الماديات الوضعية، ويوجهها دائماً وجهة الخير والنبل، والنزاهة والشرف.

وإذا سيطرت هذه العقيدة، أثمرت الفضائل الانسانية العليا من الشجاعة والكرم، والسماحة، والطمأنينة، والإيثار، والتضحية.

والتمكين لهذه العقيدة هو الذي يهذب الحياة، ويرقيها، ويصل بها إلى المدنية الحقة، ويبلغها ما تنشده من الخير والتقدم، وما تستهدفه من الحق والعدل فينعم الفرد، وتسعد الجماعة، وتحيا الحياة الطيبة.

(*) ملخص مما كتبناه في كتاب إسلامنا.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ (1).

وفي ظلال العقيدة تتوافر عناصر الارتقاء المادي والروحي، ويجد الإنسان من عناية اللّه وولايته وكرامته ما يبلغه ذروة الكمال الذي أراده اللّه له.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ (2).

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ (3).

والعقيدة مثلها مثل الشجرة الطيبة التي لا ينقطع ثمرها، فهي تؤتي أكلها كل حين: في صيف أو شتاء، ليل أو نهار، والمؤمن كذلك لا يزال يرفع له عمل صالح في كل وقت وحين. ولهذا كثر في القرآن الكريم اقتران الإيمان بالعمل الصالح، لأنه ثمرة من ثماره، وأثر من آثاره. وما أصدق قول اللّه سبحانه.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (4).

ولقد كان لعقيدة الإيمان في تربية المؤمنين الأولين الأثر الكبير، فهي التي زكت النفوس، وطهرتها من الحسد والحقد، والكبر والعجب، والفسف والفحش، والظلم والجور، والقسوة والغلظة، والأثرة والأنانية.

---

(1) سورة النحل، آية: ٩٧.
(2) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.
(3) سورة الحج، آية: ٥٤.
(4) سورة ابراهيم، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

وهي التي خلصتهم من درن التربية الفاسدة ووضر البيئة الرديئة، وشر الوراثات الدنيئة

وهي التي أعلت هممهم، فطلبوا معالي الأمور، ووطنوا أنفسهم على إمامة البشر، وقيادة الأمم وتحريرها من الخرافات، واستبداد الملوك، وتطهير الأرض من الكفر والفساد.

وهي التي مكنت لهم من الفتح والظفر، والعمل، وإقامة الحضارة التي شع نورها، وعم خيرها مشارق الأرض ومغاربها، في سنين تعد على الأصابع.

قال الدكتور غوستاف لبون في كتابه (تطور الأمم):

«إن ملكة الفنون لا يتم تكوينها لأمة من الأمم الناهضة إلا في ثلاثة أجيال:

أولها: جيل التقليد.

ثانيها: جيل الخضرمة.

ثالثها: جيل الاستقلال والاختصاص.

إلا العرب وحدهم، فقد استحكمت لهم ملكة الفنون في الجيل الأول الذي بدأوا فيه بمزاولتها».

وما أصدق ما قاله النابغة الجعدي:

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا

وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له النبيﷺ : **«ما المظهر يا أبا ليلى؟ قال: الجنة. قال: إن شاء الله..!»**.

الفهرس

الكتب السماوية

□ الكتب المدونة ٧
□ مزايا القرآن ١٢
□ تحريف التوراة ١٥
□ تحريف الإنجيل ١٧
□ معنى تصديق القرآن للكتب السابقة ١٨
□ الطريق إلى الحقيقة ١٩

الرسل

□ لم تخل أمة من رسول ٢٥
□ والرسول من نفس الأمة ٢٦
□ والرسول رجل يأكل الطعام ٢٧
□ والرسول يتزوج ٢٧
□ والرسول يتعرض لما يتعرض له غيره من البشر ٢٧
□ الرسول رجل ٢٨
□ الغرض من بعثة الرسل ٢٩
□ عصمة الأنبياء ٣١
□ آدم عليه السلام ٣٥
□ نوح عليه السلام ٣٦

□ ابراهيم عليه السلام ٣٧
□ يوسف عليه السلام ٣٨
□ موسى عليه السلام ٤١
□ داود عليه السلام ٤١
□ سليمان عليه السلام ٤٣
□ محمد صلوات اللّه وسلامه عليه ٤٤
□ أولو العزم من الرسل ٥٠
□ أفضل الرسل ٥٠
□ ختم النبوة والرسالة ٥١
□ الأعمال الكبرى التي تمثل نجاح سيدنا محمد ٥٣
□ دلائل صدقه ٥٤
□ التبشير بظهور خاتم الرُّسل ٥٧
□ محمد ﷺ ، دعوة إبراهيم وبشرى عيسى ٥٩
□ آيات الرسل ٦٠
□ الفرق بين آيات الرسل وغيرها من الخوارق ٦٧
□ الفرق بين المعجزة والكرامة ٦٨
□ معجزة خاتم الأنبياء ٦٩

الروح

□ الإنسان مركب من جسد وروح ٧٩
□ العلم الحديث والمباحث الروحية ٨١
□ حدوث الروح ٩١
□ الروح والنفس ٩٢
□ الروح بعد مفارقتها للجسد ٩٤
□ السؤال في القبر! ٩٤
□ وقال الحافظ في الفتح ٩٦

□ مستقر الأرواح! ٩٧

أشراط الساعة

□ العلامات الصغرى ١٠٥
□ طلوع الشمس من المغرب، وخروج الدابة ١٠٨
□ المهدي ١١١
□ خروج المسيح الدجال ١١٤
□ نزول عيسى عليه السلام ١١٦

اليوم الآخر

□ لم يخلق الإنسان عبثاً ١٢٢
□ مفهوم اليوم الآخر ١٢٣
□ اهتمام القرآن بتقرير الإيمان بهذا اليوم ١٢٣
□ حكمة الاهتمام به ١٢٧
□ بداية اليوم الآخر ١٢٨
□ العلم الطبيعي واليوم الآخر ١٢٩
□ متى هو ١٢٩
□ البعث ١٣٢
□ أدلة البعث ١٣٣
□ شبهة منكري البعث ١٣٤
□ اختلاف الناس عند البعث ١٣٦
□ الشفاعة ١٣٧

الحساب

□ الحساب هو مقتضى العدل الإلهي ١٣٤
□ كيفية الحساب ١٤٦
□ كيفية إحصاء الأعمال وعرضها ١٤٨

□ العلم وتسجيل الأعمال ١٥٠
□ دقة الحساب ١٥٠
□ اللّه هو الذي يتولى الحساب ١٥١
□ رحمة اللّه بالمؤمن عند الحساب ١٥٢
□ الحوض ١٥٣
□ الصراط ١٥٣

الجنة والنار

□ أهوال الجحيم ١٥٨
□ نسبة نار الدنيا إلى نار الآخرة ١٦٢
□ أهون الناس عذاباً ١٦٢
□المؤمن لا يخلَّد في النار ١٦٢
□ الشفاعة للعاصي ١٦٤
□ التخاطب بين أهل الجنة وأهل النار ١٦٤
□ آخر من يدخل الجنة، آخر من يخرج من النار ١٦٦
□ الجنة ١٦٨
□ أهلها ١٦٨
□ نعيمها ١٦٩
□ نعيم الجنة فوق ما يتصوره العقل ١٧١
□ أعلى نعيم الجنة ١٧٢
□ الخلود ١٧٥
خاتمة ١٧٨


Bibliotheca Alexandrina
0623510